عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 119 / 16 حزيران 2018

العيد في بلدة الدانا بريف حلب الغربي

عدسة ابراهيم الحسن - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

مونديال روسيا السوري بين رصاص الشبيحة والوطنيات المزورةً

يقال إنّ كرة القدم هي البديل الأحدث الذي أنتجته البشرية لحروبها المدمرة بين الدول، ومع أنّ الحروب لم تتوقف يوماً، فإن كرة القدم تحوّلت إلى أحد أبرز أدوات التعبير المُتكرر، موسمياً وبانتظام، عن الوطنية في صورتها المُسالمة، والمُتعصبة التي تنتهي غالباً بتقبل الهزائم، بالرغم من أنهّا في مرة أو اثنتين، أشعلت أو كادت تُشعل حرباً حقيقية.

ينخرط العالم كله هذه الأيّام في هيستيريا عابرة للقارات اسمها "كأس العالم"، والسوريون ليسوا بعيدين بالطبع عن هذا الهوس، الذي يتمركز جغرافياً في روسيا. والواقع أنّ الصورة لها ليست كذلك، فهي في عنفها المُدويّ تجد انعكاسها الفجّ في سوريا نفسها، مُحدثة شرخاً إضافياً في انقسام المجتمع حول روسيا ذاتها؛ إذ بينما يتابع السوريون المؤيدون للثورة المباريات أملاً في هزيمة روسية وإيرانية، ينخرط الشبيحة في دور المشجع المُتعصب، الذي ينقل تكثيف صورة القصف الروسي إلى احتفالات بالقوة وإطلاق الرصاص في شوارع اللاذقية وطرطوس، كما يُورد مراد الحجي في مادته بهذا العدد من "عين المدينة"، وهو مشهد يبدو تتمة لتفسير غاليانو الشهير لاستبدال الحرب بكرة القدم، إلا أنّه يعاود تقديم نفسه باستعراض القوة القاتلة، في توكيد إضافي لتنافي التشبيح مع كل منظومة إنسانية وأخلاقية تحاول كرة القدم تقديمها.

ثمة مفارقات أكثر توغّلاً في معاني المُنتجات القومية، وفي الاستثمارات العاطفية الموجهة لوطنية كرة القدم التي تطرأ مع كل حدث، وهي تظهر عموماً في حال المنتخبات التي تُمثل بلاداً تُقاد بمشاريع سلطوية، تسعى إلى إعادة توجيه الحاصل الاجتماعي، وفق نظرية لويس ممفورد عن تحوّل المنشآت الرياضية إلى "أوعية الجماهير"، لكنها معارك فاشلة غالباً، لأنّ التطور الكروي مرتبط أساساً باستقلاله عن الدولة والسلطة، والأهم بتطور موازٍ في حال الحريات والرخاء المنتج، وهذا ما يجعل أوروبا في الصدارة دائماً.

في المقابل، فإن لصورة كأس العالم تمثّلات في الخيبة والحسرة، ستجدون أحد تفسيراتها في ما كتبه مصطفى أبو شمس عن غياب إيطاليا المتزامن مع استشهاد (أحمد)، أحد أشهر مشجعيها في صفوف الثورة، والذي لا يُشجع منتخباً عربياً لأنه لم يقع في فخّ الوطنيات المزورة.

3 المخابر تؤكد إصابات الكوليرا في دير الزور
5-4 في البوكمال اليوم: خدمات زائفة والحرس الثوري أرحم بالأهالي من النظام
7 العائدون إلى الميادين من "الفيش الرباعي" إلى الالتحاق بميليشيا "الدفاع الوطني"
11 ضباط الأسد يلجؤون إلى المشعوذات لحماية مكاسبهم في المناصب والأموال
12 إيران تحيي "ليالي حلب الساطعة"
13 محنة مدينة حماة المُحتلة بالمخابرات
14 في ذكرى أحمد مشجع إيطاليا.. لن أشجع العرب
19 أحمد أديب أحمد مدرّس الإحصاء الذي تصدى للتشيّع

مشفى الكسرة في ريف دير الزور الغربي من صفحة المشفى

المخابر تؤكد إصابات الكوليرا في دير الزور ومستوصف واحد لكل (175) ألف نسمة في منطقة «قسد»

تُواجه الرعاية الصحية في دير الزور أزمة لا مثيل لها بين القطاعات الخدمية الأخرى. يكفي أن نذكر أن أكثر من 80 % من المُمارسين الطبيّين في أرياف دير الزور التي تقع تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية في الضفة اليسرى لنهر الفرات المعروفة ب (خط الجزيرة) ليسوا من حملة الشهادات الطبية، وفي بعض الأحيان يفتقرون حتى إلى شهادة الدراسة الثانوية.

د. حسام جابر

لم تُعلن السّلطات المحليّة المعنيّة بإدارة هذه المناطق، حتى الآن، أي برنامج لإعادة تأهيل المرافق الصحية أو تأهيل الكوادر البشرية العاملة في القطاع الصحيّ بشكل عام، وفي مراكز الرعاية الصحية الأولية بشكل خاص، على الرغم من إلمامها بمدى فداحة الوضع، من خلال النسبة المذكورة التي رشَحت عن أعضائها في المجلس المدني بديرالزور.

تضمّ منطقة سيطرة "قسد" في دير الزور، ستة مراكز ناحية وأكثر من ستين قرية، افتتحت فيها أربعة مراكز للرعاية الصحية الأولية (مستوصف) فقط، تعمل بإمكانيات ضعيفة، لخدمة (700) ألف نسمة تقريباً بين أهالي المنطقة ونازحين إليها من مناطق سيطرة النظام في الضفة اليمنى للفرات وفق تقديرات، بينما تتطلب المعايير الدنيا توفير مركز رعاية أولية فرعيّ لكل (5000) نسمة، وآخر رئيسيّ لكل (30000).

يعمل إلى جانب المراكز الصحية الأربع مشفى عموميّ واحد، مشفى الكسرة الواقع في الخط الغربي جزيرة (غرب مدينة ديرالزور على يسار النهر) الذي يُقدّم خدماته بالمجان، ويسعى العاملون فيه جهدهم لتغطية النقص الحاصل في تقديم الخدمات الطبية، لكنّ المشفى يفتقر إلى التجهيزات اللازمة التي تُؤكد تصنيفه كمشفى.

يعتمد سكان تلك المناطق أيضاً على تلقّي الخدمات العلاجية في عيادات الأطباء الخاصة، وفي المشافي الخاصة التي تتركّز في بلدات البصيرة والشحيل وذيبان في الخط الشرقي جزيرة (شرق مدينة ديرالزور على يسار النهر).

وبشكل عام، ورغم سوء واقع القطاع الصحي، إلا أن واقع الحال أفضل بكثير في الرّيف الشرقي جزيرة منه في نظيره الغربي.

بشكل طبيعي، وبناء على ماسبق، فإن دير الزور تُعاني من اجتياح الأمراض السّارية والمُزمنة لها، وتُعتبر مرتعاً خصباً لنموّ السلالات الجرثومية المُقاومة للصّادات الحيوية التقليدية التي يتم تداولها بين السكان دون اللجوء إلى عيادات الأطباء التخصصيين أو مراكز الرعاية الصحية المُختصة.

وبحسب أحد الصيادلة القِلّة العاملين في ريف دير الزور الغربي، فإن 90 % من الأدوية التي يستخدمها المرضى في العلاج يتمّ شراؤها من الصيدليات بشكل مباشر وبدون وصفات طبية، حيث يعتمد المرضى، بسبب سوء أوضاعهم الاقتصادية من جهة وغياب الكفاءات الطبية من جهة أخرى، على الأدوية الموصوفة من قبل العاملين في الصيدليات، الذين، وبحسب ذات الصيدلي، يمتهنون مهنة الصيدلة دون مُؤهلات علمية، يُدلّل على ذلك أن ثلاثة صيادلة فقط يُديرون صيدلياتهم بشكل مباشر، من أصل ثلاثين صيدلية في الريف الغربي تُدار من أشخاص غير مؤهلين.

تغزو طفيليات اللشمانيا المُسبّبة لداء اللشمانيا قُرى الريف الغربي لدير الزور. ومن المعلوم أن بيئة تفتقر حالياً لآليات التعامل مع النفايات وشبكات الصرف الصحي هي بيئة فُضلى لانتشار ذبابة الرمل، الحامل الرئيسي لطفيل اللشمانيا، وهذا ما ينطبق على دير الزور، حيث سُجّلت آلاف الحالات على امتداد الأشهر الماضية، يُضاف إليه ضعف خبرة الكوادر الطبية في التعامل مع العلاجات المتوفرة لداء اللشمانيا، المُتمثلة بحقن (الغلوكانتيم) التي تحتاج لأيدي مدربة تحقنها على حواف الآفة التي تصيب المناطق الجلدية المكشوفة من جسم الإنسان وبخاصة الوجه.

وكذلك فإن بلدة حطلة، على الضفة اليسرى للنهر، الخاضعة لسيطرة قوات النظام والميليشيات الشيعية باتت بؤرة لانتشار أمراض الجهاز الهضميّ، من إسهالات مائية والتهابات أمعاء، ولأمراض جلدية متعددة، نتيجة تلوّث مياه الشرب وتوقف محطّات تعقيم المياه عن العمل وعدم وجود نقاط طبية تُعنى بالقاطنين هناك، فاستقبل (مشفى الأسد) في مدينة دير الزور، خلال شهر أيار المنصرم، 29 حالة إسهال مائيّ حادّ مصدرها بلدة حطلة، بحسب أحد العاملين في المشفى.

تبدو الطّامة الكبرى الآن المُهدّدة لحياة الناس في دير الزور انتشار الكوليرا، إن كان في المخيمات التي تُدار من قبل مجلس دير الزور المدني، أو بين المجتمعات المُضيفة في قرى الريف الغربي جزيرة، حيث سجّلت الكثير من الأعراض التي يُعتقد أنها أعراض تعود لمرض الكوليرا، وتؤكد النتائج المخبرية من تحاليل الدم وزرع البراز هذا الاعتقاد، مما يُنذر بكارثة تهدد بانتشار المرض بسرعة أكبر بين الناس، خاصة وأن نسبة لا تتجاوز 7 % من حاملي جرثوم الكوليرا يشعرون بأعراض المرض الحادّة، ما يعني أننا أمام مئات الإصابات بالكوليرا في دير الزور.

على أن الوضع لم يكن أفضل حالاً بكثير في السابق، فقبل انطلاق الثورة السورية، كانت الحكومة السورية أعدّت برنامجاً للرعاية الصحية في ريف دير الزور، يتضمن تصميم شبكة من المراكز الصحية الأولية المُدارة من قبل الحكومة، غير أن الخدمات في هذه المراكز كانت فقيرة جداً، وفي أغلب المراكز الصحية الريفية كان الدوام يقتصر على يوم واحد من أيام الأسبوع، وحتى في هذا اليوم فإن خيار العلاج في أحد المراكز الصحية الحكومية هو الخيار الأخير بين خيارات السكان، نظراً لرداءة الخدمات المُقدمة في المراكز وقلة خبرة الكوادر العاملة. وتُقدّم مراكز الرعاية الصحية الأولية عادة خدمات التلقيح والتصوير الشعاعي وإعطاء الأدوية بالمجان والاستشارات النسائية واستشارات الأطفال على الأقل، ومكافحة الإسهال والأمراض السارية.

في البوكمال اليوم: خدمات زائفة والحرس الثوري أرحم بالأهالي من النظام

المصدر ANBA24

هيثم الحنت

تتوالى الفيديوهات والصّور التي يلتقطها عائدون إلى مدينة البوكمال، إلى جانب تقارير دعائية تبثّها وسائل إعلام النظام عن عودة الأهالي، والخدمات التي تتوفر باطّراد. ما يغيب عن المشهد سيطرة حجاج الحرس الثوري الإيراني وآليات تعاملهم مع الأهالي، والوعي الجديد الذي يُشكله هذا التعامل، إلى جانب هزال الخدمات والتزييف الإعلامي لخداع النازحين وإقناعهم بالعودة إلى المدينة.

تُقدّر تقارير إعلامية موالية للنظام نسبة العائدين إلى البوكمال بالثلث تقريباً، فيما يرفض نازحون عنها هذه النسبة، ويؤكد عدد منهم، في أعلى تقديرات، أن من يقيم اليوم في البوكمال لا يتجاوز (5000) نسمة، جاء معظمهم من مناطق خاضعة لسيطرة النظام، ولم ينزحوا خارجها من قبل. ويُنبّه بعض أبناء المدينة إلى استعمال العائدين إلى القرى المجاورة (السويعية والهري والسكرية) في صور ومقاطع فيديو دعائية، يُحشدون فيها في ساحات المدينة وشوارعها كأنهم من أبنائها، وبالاستفادة من خدمات شخصيات عشائرية مؤيدة للنظام، وظلت إلى جانبه في السنوات السابقة، قبل أن تُرافق الميليشيات الشيعية متعددة الجنسيات (عراقية وأفغانية وباكستانية) التي دخلت المدينة، وسيطرت عليها في شهر تشرين الثاني من العام الماضي، كما جاء في تقرير سابق (أخبار البوكمال وحكاياها) لـ عين المدينة.

في موجة النازحين الأخيرة، التي زامنت الهجمة العسكرية نهاية السنة الفائتة على البوكمال، لم يبتعد كثيراً بعض سكان القرى القريبة عن ديارهم، فيما رافق البعض الآخر أبناء المدينة إلى منطقة سيطرة داعش في الضفة اليسرى لنهر الفرات، في طريقهم إلى مناطق سيطرة (قوات سوريا الديمقراطية) حيث بقي جزء منهم فيها، وأكمل الجزء الآخر رحلة نزوحه إلى مناطق (قوات درع الفرات) في محافظة حلب، ثم باتجاه إدلب، وقلّة من هؤلاء استطاعت دخول الأراضي التركية.

وفي محلات نزوحهم، يتداول أبناء البوكمال أخباراً يومية تُفيد بهجوم وشيك لتنظيم داعش يستعيد فيه السيطرة على المدينة، أو هجوم لفصائل الجيش الحر من قاعدتهم في منطقة التنف على الحدود العراقية جنوب البوكمال، ويتبنى كثيرون الرأي القائل بأن الولايات المتحدة تسهل حركة التنظيم وهجماته ضد الميليشيات الشيعية، لإضعاف الطرفين قبل طردهما معاً، والسيطرة في المحصلة على مدينة البوكمال. تُغذي هذه الأنباء، أو تختلقها، حماسة وأمل بعودة قريبة إلى البلد الذي لا يمكن أن يعودوا إليه، حسب ما تقول أغلبيتهم ويشي تشبثهم بالنزوح، طالما ظلت أعلام النظام وإيران وحزب الله والميليشيات الأخرى مرفوعة فيه.

الحرس الثوري أرحم بالأهالي من النظام

يقول نازح شاب من البوكمال يُقيم في مدينة الباب "وجّه لي واحد من المعارف دعوة للنزول إلى البوكمال، قال لي: تعال للمعبر استقبلك أنا والحجي. تتفل على العقيد (الحجي لقب خاص لأي شخصية قيادية تابعة للحرس الثوري الإيراني، والحجي المقصود من كلام الشاب يُلقب بذو الفقار)". يشرح الشاب بأن قريبه كان تاجر آثار بقي في المدينة عند دخول القوات المُهاجمة، ثم أصبح وجيهاً معتمداً لدى الميليشيات التابعة للحرس الثوري الإيراني، ويُقدم الأخير مزايا عدّدها الشاب براتب جيد قياساً للمعيشة، وحصانة تبعد عن منتسبيها شبح ملاحقة أجهزة النظام أو تصفية حسابات يقوم بها منتسبون محليون لميليشياته.

يمثل تاجر الآثار السابق النوع الأول من الوسطاء الناشطين اليوم في ملفّ العودة، ويعمل بتوجيه وإشراف مباشر من شخصيات سورية، أو عراقية أو لبنانية، شيعية المذهب في الغالب، ترتبط بدورها مباشرة بخلية تابعة للحرس الثوري الإيراني. وفي السياق ذاته يُمثل الوسطاء التابعون لأجهزة أمن النظام النوع الثاني، وعلى من يُقرر الرجوع إلى البوكمال من مناطق خارجة عن سيطرة النظام أن يختار طريقه بعناية، ووفق نوع الوسيط الذي استدرجه للعودة. حيث يتوجب على العائدين برعاية الحرس الثوري أن يتحاشوا مؤقتاً المرور عبر حواجز النظام،

ونقاط تفتيشه المنتشرة بتباعد، يزيد وينقص من طريق إلى آخر في مناطق سيطرته، وإلى حين وصولهم إلى أول حاجز أو مقر لميليشيا تابعة للحرس الثوري في محيط البوكمال. أما من يعود بوساطة أتباع مخابرات النظام، فمن الضروري أن يمرّ بمدينة دير الزور أولاً، قبل أن يكمل طريقه إلى مدينة البوكمال.

بكل الأحوال، صارت البوكمال محاصرة من (المربع الأمني)، الذي يشمل كل الكتلة السكنية الممتدة من (دوار الطيارة) حتى (ساحة الفيحا) وباتجاه البادية، أي ما يساوي تقريباً نصف مساحة المدينة، بما فيها من دوائر وأبنية حكومية، ويضم الآن مقرات جميع القوى العسكرية المسيطرة على البوكمال ومحيطها. على أن تلك الكتلة، وبالذات حي الجمعيات، هي نقطة جذب المُعفشين ولصوص ممتلكات الأهالي الغائبين عن بيوتهم. التعفيش هناك أخذ شكلاً من البيروقراطية، الذي يجعل الحصة الأكبر للقائد أو الضابط الأعلى رتبة في ميليشيات النظام أو قواته: بأن يدلي أحد المُقربين لميليشيات الأجهزة الأمنية بمكان أغراض ثمينة، خلّفتها هجمة التعفيش الأولى عند السيطرة على المدينة، ثم يحتسب له القائد مبلغاً مالياً مناسباً لقاء ذلك، أو أن تأخذ عائلة عنصر في الميليشيات إذناً بدخول الجمعيات لتفقّد ما يدّعون أنه بيتهم، وهناك يجمعون ما يتيسر حمله على العنصر ليلاً.

يروي المتضررون أو المتذمرون من مظاهر النهب والسرقة المنهجة، سواء كانوا في البوكمال أو خارجها، حكايات عن محاولات أتباع الحرس الثوري التصدّي لهذه المظاهر وردع اللصوص، وحماية الأملاك الخاصة، التي تمتد أحياناً لحماية الأهالي من تعدّيات أتباع النظام. وينجح الحرس الثوري وميليشياته ببث دعاية شفوية تمايزهم عن قوات النظام وميليشياتها الهمجية المتوحشة، وتبرزهم بصورة أرقى وأرحم بالناس، الذين لا يجدون سوى ممالأة الفريق الأول وسيلة لاكتساب حماية ما، أو الانتساب له -حتى لو كان انتساباً اسمياً بالتخلي عن الراتب- وإلا سيكونون عرضة لمخاطر شتى، تبدأ لدى فئة الشبان بالسّوق الإجباري إلى الجيش، كمجندين أو للاحتياط، وتنتهي بالاعتقال الأمني وربما الموت تحت التعذيب.

غير أن هذه الحماية من جانب الحرس الثوري لن تكون مجانية بأي حال، فهي وسيلة وخطوة أولى على طريق خطر قد ينتهي بالتشيع، وهو الهدف النهائي له. لكن الانتقال إلى المذهب الشيعي، بتأثير الانتساب إلى الميليشيات التابعة للحرس، والعيش في كنفها، مازال بعيداً، أو غير وارد اليوم، حسب ما يحلل البعض، لكن التورط معها بالتدريج يجعل الانسحاب منها أمراً شديد الصعوبة في المستقبل.

دعاية الخدمات

قبيل، وأثناء المعارك بين تنظيم داعش وقوات مشتركة تضم ميليشيات متعددة الجنسيات تابعة للحرس الثوري الإيراني، إلى جانب حضور شكلي لقوات النظام وميليشياته، نزحت الأغلبية الساحقة من سكان المدينة، في آخر موجة نزوح كبرى (سبقتها موجات أخرى في الأعوام السابقة) وامتنعت عشرات العائلات في حيي طويبة وضبيعة الشعبيين عن النزوح، جمعتها الميليشيات لاحقاً في حي طويبة، الذي تمتع بهامش ضئيل من الاستقلالية عن داعش خلال الأشهر الأخيرة من عهد سيطرتها على البوكمال، والذي ظل بمنأى عن القصف ثم بعيداً عن المعارك التي انتقلت إلى المدينة.

شكلت تلك العائلات نواة تجمّع حولها قسم من نازحي البوكمال العائدين من دمشق، واستقر آخرون في حي ضبيعة. ومع الوقت أُديرت مولدات الكهرباء الخاصة في الحيين من قبل أصحابها أو وكلاء عنهم، ووصلت المياه إلى البيوت، وافتتح مركز صحي وحيد في قرية السويعية خارج المدينة، إلى جانب مشفى الهناء التي تحولت إلى مشفى عسكري، كما انحصرت خدمة الهاتف بـ"مقسم عسكري" يخدم خمسة وعشرين "خط هاتف" موزعة على الميليشيات والمجموعات التي تنتشر في المدينة.

أغلقت المدرستان اللتان كانتا تستقبلان طلاب البوكمال أبوابهما مؤخراً، بعد انتهاء العام الدراسي، لكنهما لم تكونا لتجتذبا أحداً من أبناء حي طويبة، حيث تقع الأولى، أو حي ضبيعة حيث الثانية، لولا الثياب والحقائب والطعام الخاص بالمنظمات الإنسانية الذي يُوزع فيهما، كما تشرح إحدى النساء المتواجدات في البوكمال، لأن في المدينة "كلشي ما بي. بي مي وخضرة وتكسي ابن غنام وطرطورة وضاح (عربة بثلاث عجلات)" غنام المعني هو رئيس البلدية المتمسك بمنصبه منذ ما قبل الثورة، أما وضاح فأحد "دراويش البلد".

تظهر "طرطورة وضاح" في أكثر من فيديو يدعو الأهالي للعودة. الفيديوهات مصورة بالقرب من (دوار المصري)، المكان الوحيد الذي يشهد حركة مرور للسيارات وتجوّل بعض المتسوّقين من عدة محلات شبه فارغة، وحيث تبدأ سيطرة ميليشيا الحشد الشعبي العراقية، والتي تمتد لتشمل قرية السويعية فالهري ثم الحدود السورية العراقية. الامتداد يشهد حركة مرور نشط للسيارات، الخاصة بالمسروقات من البوكمال والمواد الغذائية من ديرالزور، والمتوجهة إلى حصيبة، مقابل خمسة آلاف دولار لصالح الحشد الشعبي في الطرف السوري عن كل سيارة، بحسب أحد التجار.

متداولة على الإنترنت لقاسم سليماني في البوكمال

عناصر من ميليشيا "القوة الجعفرية" قرب دير الزور

الغزو الإيراني لديرالزور عبر البشر والحجر

مازالت محافظة دير الزور أحد الأهداف التي تضع إيران نصب عينيها نشر المذهب الشيعي فيها، بسبب موقعها الاستراتيجي القريب من العراق، وغناها الديمغرافي والاقتصادي، في محاولة لكسر الطوق السني للامتداد العشائري، وما يُشكّله من ترابط اجتماعي بين غرب العراق وشرق سوريا، وتحاول في سبيل ذلك استخدام أدوات متنوعة لدفع الأهالي نحو التطبيع مع وجودها في المنطقة، باستخدام شخصيات اجتماعية وتكريس أخرى، أو إشغال الحيّز العام بالطابع العمراني الخاص بإيران مع تغييب الطابع المألوف، وكل ذلك عبر جمعيات ومنظمات وميليشيات تشتبك عضوياً مع أذرع إيران الخارجية.

فراس علاوي

بدأت إيران محاولاتها للتمدد خارج حدودها الجغرافية بعيد سيطرة (الثورة الإسلامية) عليها، واعتمدت على عدة عوامل لفرض سيطرتها، من أبرزها تصدير المذهب الشيعي الذي حملته للدول التي مدت أذرعها إليها، كما في العراق ولبنان واليمن، حيث اعتمدت على الشيعة العرب في التمدد داخل حدود الدول الثلاث. وعلى عكس تلك الدول كان وجود المذهب الشيعي ضعيفاً في سوريا، رغم وصول آل الأسد للحكم، وهم من المذهب العلوي، أحد فئات الشيعة بحسب فتوى موسى الصدر.

التحالف بين نظام الأسد ونظام الملالي في إيران أطلق يد إيران في المنطقة، وبدأت سيطرتها بالتسلل إلى جوانبه السياسية والاقتصادية، بالتوازي مع محاولات مكتومة وبسيطة لضمّ جماعات أهلية إلى المذهب الشيعي قيد الاستثمار اليوم، الأمر الذي كانت تُراهن عليه إيران في وقت مُبكر لضمان نفوذ وحاضنة اجتماعية لها، كما حاضنتها في لبنان والعراق.

بدأت المحاولات الأُولى لنشر المذهب في ديرالزور في ثمانينات القرن المنصرم، ثم التسعينات عن طريق بعض الجمعيات التي حاولت استقطاب أتباع عن طريق الترغيب بالمال والسلطة، وكان لجميل الأسد دور بارز من خلال جمعية الإمام المُرتضى التي كان يشرف عليها، حيث استطاع، ومن خلال المال، الوصول لبعض الشخصيات من أمثال عمر الحماد، وهو شخص مرتبط بنظام الأسد من أبناء بلدة حطلة، وبعد أن استطاع عمر تشييع قريبيه ياسين المعيوف وحسين الرجا شكّلا بذرة لما يمكن أن يكون قاعدة لنشر المذهب في ديرالزور، والتي اعتمدت على دفع الأموال والرواتب الشهرية للمُتشيعين من المُستشارية الإيرانية بدمشق وبعض الجمعيات الشيعية خاصة في الكويت.

حين وصل العام 2000 كانت هذه الأرضية قد أتمّت إنشاء ثلاث حسينيّات في الريف القريب من مدينة الدير مع غربه (قرى الصعوة والحوايج وحطلة)، ورغم الرفض الشعبي لهذه الخطوة، إلا أنها وجدت مؤيدين لها بعضهم استغلّ فكرة أن بعض العشائر تعود في أصولها للحسين بن علي ولأئمّة الشيعة، خاصة عشيرة البكارة والتي سيكون لبعض أفرادها دور هام لاحقاً.

التشييع الحذر والمُخاتل قبل الثورة تحوّل إلى العلن عبر أكثر من آلية، لكن التغيير الدراماتيكي كان مع صاعدين من جيل الشباب اعتنقوا المذهب الشيعي، وهؤلاء معظمهم مؤيدون لنظام الأسد ومقاتلون في مليشياته. فبعد سيطرة الجيش الحر على المنطقة شكّلت دمشق مركز انطلاق لهم نحو لعب أدوار جديدة في محافظتهم، حيث عادوا مع المليشيات الإيرانية مطلع العام الحالي وهم يعملون على خدمة تلك المليشيات في سعيها لنشر المذهب عن طريق الترغيب وتوزيع المساعدات أو الترهيب والتهديد بالقتل والاعتقال.

كما عملت بعض الواجهات العشائرية على دعم نشر المذهب من خلال تشكيل قوى عسكرية على أساس مذهبي، كما فعل نواف راغب البشير أحد شيوخ قبيلة البكارة، والذي ساهم بتمدّد لواء الباقر، المدعوم إيرانياً، إلى دير الزور للقتال إلى جانب نظام الأسد والمليشيات الإيرانية.

استخدمت المليشيات المساجد التي حولتها إلى ما يشبه الحسينيات من أجل توزيع المساعدات للأهالي وشراء ذمم البعض، أو لممارسة طقوس المذهب الشيعي فيها واستخدامها للدعوة، كما حصل في المسجد العمري بديرالزور الذي تم تغيير اسمه لمسجد الرضوان، وبعض مساجد مدينة الميادين والبوكمال. كذلك عملت إيران على بناء حسينيّات جديدة، كما حصل في منطقة (عين علي) ذات الرمزية الدينية والتاريخية، والتي استغلتها المليشيات الإيرانية لإقامة حسينية على أنقاض المنارة إلى جانبها.

عمل نظام الأسد على استكمال حلقة التغيير من خلال إصدار تشريعات تُسهّل لإيران تنفيذ مخططاتها، كإصدار المرسوم رقم 10 والذي يحرم المواطنين خارج سوريا من حقهم في منازلهم في حال لم يُقدموا مايثبت ذلك، مُدركاً استحالة عودتهم في الظروف الراهنة، أما الأخطر من ذلك هو ما تقوم به المُستشارية الإيرانية بدمشق، عبر فروعها وعبر بعض المتواطئين معها وبعض المنتفعين، من افتتاح مكاتب عقارية في مدن ديرالزور والميادين والبوكمال الهدف منها تثبيت التغيير الجاري، من خلال شراء المنازل والأراضي وبأسعار خيالية تصل إلى مئات الآلاف من الليرات السورية للمتر الواحد.

عودة نازحين إلى مدينة الميادين من الفيش الرباعي حتى الالتحاق بميليشيا الدفاع الوطني

أنس الراوي

لا يخلو بال أي من العائدين إلى الميادين من الهواجس الأمنية التي تُرافقهم منذ لحظة اتّخاذ قرار العودة حتى الوصول إلى المدينة، شرق محافظة دير الزور حيث تُسيطر قوات النظام السوري والميلشيات المحلية والإيرانية، ثم تستمر إلى ما بعد ذلك بكثير.

شهدت الميادين موجات متعددة من نزوح سكانها، كانت الأولى بعد ظهور كتائب الجيش الحر في النصف الثاني من العام 2012وقصف قوات النظام المدينة. النازحون من مؤيدي النظام بعدها فضّلوا البقاء في المناطق التي يُسيطر عليها. لاحقاً، وبعد سيطرة داعش تموز 2014 على الميادين، طالت موجة النزوح عناصر وقادة فصائل وثوار وعاملين في الشأن العام باتجاه الشمال السوري وتركيا، حتى جاء النزوح الجماعي مع هجوم قوات النظام وإيران وميليشياتهما بدعم من الطيران الروسي تشرين الأول 2017.

فضّل النازحون هذه المرة قرى وبلدات الجزيرة في مواجه مدينتهم على الضفة اليسرى من نهر الفرات، وتابع قسم منهم باتجاه مناطق درع الفرات وإدلب، حيث يحاول اليوم عشرات من هؤلاء العودة إلى مدينتهم عبر السفر إلى دمشق. وهناك يبدأون، مع النازحين في دمشق، مراحل المخاطرة في التأكد من (نظافة) أسمائهم، انطلاقاً من دمشق وصولاً إلى أحيائهم التي تسيطر عليها الميليشيات.

يبدأ الراغبون بالعودة رحلة البحث والمخاطرة بمحاولة معرفة ما إذا كانوا مطلوبين لأحد الأفرع الأمنية عبر (ضرب فيش رباعي)، للتخفيف من مخاوفهم الأمنية، وعادة ما يكون هذا الفيش مأجوراً، وتختلف المبالغ التي يتقاضاها عناصر الدفاع الوطني والمقرّبون من الأمن والشبيحة والسماسرة لقاء الفيش من شخص إلى آخر. المبلغ لا يتجاوز عادة المئة دولار أمريكي، لكن الكثيرين توصّلوا لقناعة تُفيد بأن الفيش وهميّ، أو أنه لا يحمل أي ضمانات للشخص من أن يكون غير مطلوب في منطقته، حتى إذا كانت (نتيجة الفيش سلبية).

يكشف المُتداول بين السوريين أن (الفيش الرباعي) يعني البحث لدى مكتب الأمن القومي بين أسماء المطلوبين لكل من الأجهزة الأمنية التي تشمل الأمن العسكري والأمن السياسي وأمن الدولة والمخابرات الجوية، ويبين إن كان الشخص مطلوباً لأحد هذه الأجهزة، أو للخدمة العسكرية.

عند الوصول إلى محافظة دير الزور هناك دخول إجباري إلى مدينة الدير، تختلف فيها الرّحلة بين الرجال والنساء: الرجال يتمّ اقتيادهم إلى مركز (الدفاع الوطني) في حي الجورة من أجل تفييش محليّ، وحسب الفيش تُقرر ميليشيا الدفاع عودتهم إلى الميادين من عدمها، كذلك في المركز يتمّ اقتياد من كانت لديه (نتيجة الفيش إيجابية) للاعتقال.

"الفيش الرباعي فخّ يقع به الراغبون بالعودة، كذلك باب رزق لسماسرة النظام" يقول أحد الذين لجأوا إلى التفييش ثم أعاد التفكير بأمر العودة، بعد أن توصّل إلى أن الأمر (سيفتح العيون عليه)، لأن الفيش "طريقة لكشف العائدين والتذكير بهم، إن كانوا قد سقطوا سهواً من قائمة المطلوبين" فالاسم (نظيف) بالنهاية، لدفع الراغبين للتورّط في الذهاب إلى مناطقهم ثم جمع أكبر عدد منهم لتجنيدهم.

الفيش الخاص بالنساء (يُضرب) في مطار دير الزور العسكري، لدى فرع المخابرات الجوية، الذي يقوم بوضع لصاقة على ظهر البطاقة الشخصية لمن كانت (نتيجتها سلبية)، تُسهّل اللّصاقة عملية تنقلها عبر الحواجز. في كلا الحالتين يُصادف اعتقال أشخاص جهدوا قبل العودة إلى ديرالزور للتأكد من (نظافتهم) عبر (الفيش الرباعي)، الذي لم يكن سوى أوهام باعها السماسرة وعناصر الأمن والشبيحة لأقاربهم ومعارفهم ومن يتّصل بهم لذات الغرض، كما يستنتج كثر من العائدين.

أحد العائدين دخل مدينة الميادين بعد العبور من تدقيق (الدفاع الوطني) اسمه، على ما يقول أقاربه، بعد يومين تمّ اعتقاله داخل المدينة واقتياده إلى خدمة الاحتياط في جيش النظام. يقول أحد أقاربه إن ذويه يرسلون له مبالغ مالية شهرية يدفعها كرشوة لأحد الضباط لعدم إجباره على قتال أحد، وينقلُ أقاربه أن من قام بضرب الفيش الرباعي له هو من سهّل عملية اجتيازه مركز (الدفاع الوطني) بالجورة، وذاته من وشى به لاحقاً لسوقه إلى خدمة الاحتياط في الجيش، بعد أن حصل على المال. لكن آخرين، نظراً لفرض التحاق أحد ذكور العائلة بقوى النظام وميليشياته، يلتحقون طوعاً بميليشيا الدفاع الوطني لاقتصار الخدمة فيها على المدينة حتى الآن.

لا يوجد إحصاء لأعداد العائدين إلى الميادين، لكنها مازالت في عداد البضعة آلاف جلّهم من مؤيدي النظام وبيروقراطيي مؤسساته ودوائره النازحين في دمشق، وأعدادهم في تزايد بطيء جداً، لكن الملاحظ منذ وصولهم بدء عملية تعفيش أهليّ لما تبقى من أثاث المنازل، كانت تتولى تعفيشها في السابق الميليشيات وقوات النظام.

من مدينة السخنة - خاص عين المدينة

لتصير مُستعمرَة للإيرانيين...
النظام يمنع أهالي السّخنة النازحين من العودة

محمد حسن العايد

منذ سيطرتها على مدينة السّخنة في شهر آب الماضي، فرضت قوات النظام السوري بتوجيهات من الإيرانيين الإقامة الجبرية على نحو أربعين عائلة منحدرة من المدينة بالقرب من مدخلها الجنوبي على طريق أتوستراد تدمر، بعد أن أمضت الفترة السابقة في خيام كانت تسكنها بمناطق متفرقة في البادية حول السّخنة، هرباً من القصف المُكثّف لطيران النظام والطيران الروسي، خلال المعركة التي خاضها النظام وحلفاؤه ضد تنظيم داعش في المدينة التي شكّلت آخر معاقل التنظيم في ريف حمص الشرقي.

يقول مدير شبكة السّخنة الإخبارية أنور كنعان لمجلة عين المدينة "إلى هذه اللحظة لا تزال عشرات العوائل على تخوم السّخنة ممنوعة من دخولها، رغم مرور عدة أشهر على سيطرة النظام عليها"، ويُشير كنعان لوجود بعض من أهالي مدينته نازحين في مدينة حمص الخاضعة للنظام لا يُسمح لهم كذلك بزيارة المدينة، "رغم وجود موظفين محسوبين على النظام بينهم".

لم تختلف ممارسات قوات النظام، وعناصر المُرتزقة الموالية لها من (الدفاع الوطني) و (حصن الوطن) بعد سيطرتهم على السّخنة، عمّا سبق لها أن فعلته في جارتها مدينة تدمر، حيث أحرقت مئات المنازل بعد أن نهبتها، فضلاً عن اتخاذ بقية المنازل مقارّ عسكرية لبضع جنرالات روس، الذين يقتصر وجودهم على المدينة مع مجموعة (فاغنر)، والمئات من مرتزقة الميليشيات الطائفية إيرانية التمويل.

تُعزّز الميليشيات التابعة لإيران من سيطرتها على السّخنة، بحماية محيطها الأوسع في قريتي الكوم والطيبة وفي قصر الحير الشرقي، عبر نشر دائم لعناصرها هناك، حيث تتمتع السّخنة بموقع استراتيجي هام تتوسط فيه محافظات حمص والرقة ودير الزور، عدا عن قربها من منابع الغاز التي قد تُشكّل محلّ تنافس بين الإيرانيين والروس العازمين على الاستئثار بالثروات الباطنية في بادية الشام.

ينتشر في مدينة السّخنة، وقريتي الكوم والطيبة، بحسب أحمد الأحمد مدير موقع السّخنة الحدث، أعداد كبيرة من عناصر الميليشيات الشيعية (فاطميون الأفغانية، حركة النجباء العراقية، حزب الله اللبناني، ألوية الرضا، لواء الباقر) التي تتلقى أوامرها من فيلق القدس الذراع الخارجية للحرس الثوري الإيراني، بما يجعل السّخنة معقلاً ومنطلق هجمات تشنّها الميليشيات ضد تنظيم داعش في منطقة نفوذه المجاورة في البادية، حيث ما يزال التنظيم قادراً على تنفيذ هجمات معاكسة وعمليات كرّ وفرّ ضدها، في معركة يبدو أنها ستطول، وستشابه معركة داعش ضد "الحشد الشعبي" والقوات العراقية في بادية الأنبار في العراق المشابهة من حيث التضاريس بتلالها وهضابها تضاريس بادية السّخنة، فنجمت معظم المواجهات في الأشهر الفائتة عن هجمات متفرقة للتنظيم على مواقع النظام قرب السّخنة أو جوارها المتصل الأبعد، في محيط المحطة الثالثة والثانية وحميمة، وبعض المناطق الأخرى مثل سدّ الوعر على الحدود العراقية.

وإلى جانب تحول السّخنة إلى ما يشبه المستعمرة الإيرانية، وممارسات النظام الحالية ضد أهلها، تُشكل التجارب القاسية التي عايشوها، خلال اقتحام النظام وميليشياته المدينة في تموز 2013، عاملاً إضافياً يمنعهم من العودة، حيث ارتكبت قوات النظام والميليشيات مجزرة بشعة راح ضحيتها (27) شخصاً من السكان المدنيين العُزّل، قُتلوا بالسواطير والسكاكين والخناجر، ما تسبب وقتها بموجة نزوح كبيرة كانت الأولى في موجات نزوح أهالي السّخنة التي تلاحقت بعد ذلك.

سيطر تنظيم داعش على السّخنة منتصف عام 2015، ليتمّ استهدافها بقصف مُكثف من طيران النظام، ما دفع معظم أهلها للنزوح الثاني باتجاه مناطق التنظيم حينها بالرقة ودير الزور، ليبقوا هناك أو يجدوا طريقهم إلى الشمال السوري، إلى أن أطلق النظام عمليته العسكرية ضد داعش في تدمر ثم السّخنة صيف العام الماضي، لتشهد السّخنة موجة ثالثة من النزوح كان مخيم الركبان على الحدود السورية الأردنية مُبتغى الهاربين من الموت فيها، إضافة إلى المناطق الخارجة عن سيطرة النظام في محافظتي الرقة ودير الزور، وقبل أن ينزحوا مع أهلها مع تقدم قواته هناك.

قبل الثورة بلغ عدد سكان مدينة السّخنة (30) ألف نسمة لا يوجد اليوم منهم فيها أحد.

طلاب مناطق «قسد» يلجؤون إلى النظام لإكمال تعليمهم

طلاب من مدينة الرقة ساعة وصولهم إلى قرية دبسي عفنان - متداول على الانترنت

عدنان الحسين أنهى نحو 1500 طالباً من أبناء مدينة الرقة وريفها الغربي، في الرابع والعشرين من أيار الفائت، تقديم امتحان شهادة التعليم الأساسي في ناحية دبسي عفنان بريف الرقة الغربي في المنطقة الخاضعة لسيطرة نظام الأسد، وعادوا أدراجهم لمدينة الرقة وريفها. فيما توجه طلاب عين العرب/كوباني ومنبج إلى مدينة حلب وتوجه طلاب الحسكة والقامشلي وغيرهما من المناطق الخاضعة لسيطرة "قسد" إلى الجزء الخاضع لسيطرة النظام في المدينتين لتقديم الامتحانات.

في مشهد يتكرّر من جديد يحمل الطلاب أغطيتهم وفرشاتهم، يُرافقهم ذووهم، متوجهين إلى المدن الكبيرة لتقديم امتحاناتهم، تماماً كما كان المشهد في تسعينات القرن الفائت. زاد من معاناتهم خلال السنوات الماضية ضعف التعليم وغيابه في مناطقهم نتيجة عمليات السيطرة المتكررة، فكان الاعتماد جلّه على المعاهد الخاصة المنتشرة بكثرة أو ما يُسمّونه بالدورات الخاصة لدى المدرسين، وكذلك عدم امتلاك العديد منهم وثائق شخصية سوى دفاتر عائلاتهم وإخراجات قيد كانت عائقاً كبيراً بحد ذاته.

في مقدمة الحافلة يتبادل الطلاب مخاوفهم، كما يُلخص بعضهم، أحدهم ينبّه زملاءه "احذفوا كل شيء من جولاتكم، ماتعرفون، ممكن يفتشونا.." آخر يقول "نحن جايين نقدم فحص، مالنا علاقة بشيء. تصدقون خايف من قطعة الطريق بين الطرفين أكثر من تقديم الامتحان نفسه" بينما ينشغل آخرون بلملمة حاجياتهم قبيل الوصول للمنطقة الفاصلة بين الطرفين في معبر شعيب الذكر. وفي مؤخرة الحافلة يدور حديث آخر بين والدات الطلاب وجداتهم تقول إحداهن "إن شاء الله رح درّس الولاد زين" ترد أخرى "والله يا أختي رايحين عالتيسير، الوضع اللي نحن بيه لا دراسة ولاتدريس"، ثمّ ينتقل الحديث لأشياء أهم من ذلك، وكالعادة "من وين جيتي، وشلون وضعكم، وإن شاء الله ما راحلك حدا بهالأزمة".

سهّلت قسد عبور حافلات الطلاب المتوجهين لتقديم الامتحانات في مناطق نظام الأسد، ففي ريف الرقة الغربي افتتحت، بالاتفاق مع النظام، معبراً على عجل، من قرية شعيب الذكر غرب مدينة الطبقة، بهدف تسهيل وصول الطلاب لناحية دبسي عفنان، كما سهّلت خروجهم من منبج باتجاه مدينة حلب.

وعملت قوات النظام على إظهار شديد الاهتمام بالطلبة القادمين لناحية دبسي عفنان، بل عملت على جعل الناحية منطقة مركزية لتوافد الطلبة، واستقبلتهم وذويهم في بعض المدارس، وعملت على إصدار بطاقات شخصية للطلاب ممن فقدها سابقاً، ويحاول النظام الاستفادة من جزئية التعليم كونها أحد أهم وسائل الحرب والدعاية السياسية ضمن الدائرة السورية.

في المناطق التي تُعتبر ذات أكثرية كردية كالقامشلي والحسكة فرضت الإدارة الذاتية مناهج خاصة بالشهادة الإعدادية، إلا أن معظم الطلاب رفضوا الالتحاق بها وفضلوا الشهادة الممنوحة من نظام الأسد، حيث تعرّض عدد كبير من الطلاب لكارثة، حسب وصفهم، نتيجة منع الطلاب بداية من التسجيل في المدارس التابعة لنظام الأسد، ومن ثم عدم رفع التربية في الإدارة الذاتية ملفاتهم للتربية التابعة لنظام الأسد إلا قبل ثلاثة أشهر من بدء الامتحانات الحالية.

نسبة كبيرة من الطلاب المداومين إلى المدارس الخاضعة لسيطرة "الإدارة الذاتية" في محافظة الحسكة فشلوا في تقديم امتحانات التعليم الأساسي "التاسع"، ما تسبب ذلك في رسوبهم لهذا العام 2018.

وعلى عكس المتوقع، لم تنجح الإدارة الذاتية، التي تُسيطر على مناطق شمال شرق سوريا بشكل شبه كامل، رغم سنّها مناهج لكافة المراحل، من استقطاب الطلاب، لاعتمادهم منهاجاً خاصاً لتخطي المرحلة الإعدادية والثانوية، لم يحظ باعتراف نظام الأسد أو أي جهة دولية به، إضافة إلى الصعوبات الكبيرة التي واجهت فرض المنهاج الكردي والذي لم يتلق أي دعم لوجستي ولا وجود مدرسين أكفاء من أجل تدريسه.

حالة التخبط التي يُعانيها القطاع التعليمي في مناطق الإدارة الذاتية أثّر بشكل كبير على الطلاب، ودفع مجلس الرقة المدني بداية تشكيله لعقد اتفاقية مع الإدارة الذاتية، برعاية التحالف الدولي، تنصّ على أن المنهاج المعتمد للتعليم هو المنهاج الصادر عن وزارة التربية السورية ولكافة الأعمار، وهو ما اعتبره أعضاء المجلس ميزة بحد ذاتها، لتلافي خلل التعليم في المنطقة كما هو الحال في مدينة منبج لكن بدرجة أقلّ.

يُمكن القول، إن الإدارة الذاتية والنظام عملا، كلّاً على حدة، في تسلّم الملف التعليمي في مناطق شمال شرق سوريا، بل إنهم وظفوا الملف التعليمي توظيفاً سياسياً نتيجة ارتباط ملف التعليم بالمشروع السياسي لكلا الطرفين، ويمكن القول كذلك، إن العلاقة المضطربة بين الطرفين في مناطق سيطرة (قسد) تُنذر باتساع الفجوة التعليمية، حالها حال المناطق الجغرافية السورية الأخرى، وتُنذر كذلك بتعاظم مستطرد لانهيار وتآكل متنامي للعملية التربوية والتعليمية.

بعد احتلال بلداتهم.. طلاب الجامعة والمعاهد في الغوطة الشرقية يعودون لـ «البكالوريا» والتاسع

رانيا عيسى

من صفحة أكاديمية مسار على الفيسبوك

كعادتها، تضع إيمان. م (19 عاماً) من مدينة سقبا في ريف دمشق علامةً على "رزنامة يومية" تستعين بها على تمضية الوقت، هذه المرة لا تحصي طالبة المعهد التقاني للحاسوب عدد الغارات والصواريخ والشهداء في مدينتها المحاصرة سابقاً (دخلت قوات الأسد إلى سقبا في آذار 2018)، وإنما الأيام التي تفصلها عن خوض امتحانات الشهادة الإعدادية! فإيمان التي آثرت البقاء في المدينة بعد دخول قوات الأسد إليها، أجبرتها قوانين وزارة التربية في حكومة النظام، لإكمال دراستها، على خوض آخر شهادة تعليمية حصلت عليها من قبل الوزارة، رافضة الاعتراف بجميع الشهادات التي حصلت عليها من المدارس التابعة للمعارضة.

حال إيمان كحال المئات من طلاب الغوطة الشرقية الذين آثروا البقاء في بيوتهم لأسباب عديدة أهمها متابعة تحصيلهم الدراسي، على حد قول إيمان. وبالرغم من ظروف الحرب والقصف من قبل قوات الأسد على المنطقة، والتدقيق الأمني الذي مارسه الشبيحة على الكادر التدريسي واحتجاز بعضهم وتأخيرهم لأيام على العودة إلى مدارسهم في كل مرة يذهبون فيها إلى دمشق لقبض رواتبهم، تابع آلاف الطلاب دراستهم في كافة المراحل التعليمية، وشكّلت الفتيات النسبة الأكبر من الطلبة فـ "التعليم أهم من الشهادة، حتى لو لم يُعترف بها" تقول إيمان هذا كان مبدأ معظم الأهالي في المنطقة.

ومع افتتاح فرع لجامعة حلب الحرّة في الغوطة الشرقية إضافة إلى أكاديمية مسار وجامعة رشد في نهاية عام 2015، وجَد طلاب الغوطة في هذه الكليات أملاً جديداً لإكمال تحصيلهم العلمي في مختلف الفروع كـ (الطب البشري والأسنان والآداب وإدارة الأعمال والصحافة... إضافة للمعاهد المتوسطة ومعاهد إعداد المدرسين)، ففي عام 2017 بلغ عدد الطلاب في معاهد إعداد المدرسين بفروعها المختلفة (772 طالبة و102 طالباً)، في الوقت الذي خرّجت فيه أكاديمية مسار 48طالباً، أما جامعة حلب الحرة فقد احتفلت بتخريج 24 طالباً في الكليات الطبية والعشرات من الطلبة في الفروع الأخرى.

ومع دخول قوات الأسد إلى الغوطة وتهجير أهلها "عاودت الحرب عبثها بمستقبلنا من جديد، فخرجت خمس طالبات من زميلاتي في المعهد (البالغ عددهم 15) في رحلة التهجير القسري إلى الشمال السوري، أما من آثر البقاء فقد وجد ما كان يخشاه حاضراً أمامه حين رفضت مديرية التربية التابعة النظام الاعتراف بشهادتي وزميلاتي، واشترطت علينا معاودة خوض امتحان شهادة التعليم الأساسي أولاً!" تقول إيمان.

في باحة منزلها دمشقيّ الملامح، تجلس إيمان بجوار أختها سارة (طالبة طب بشري) تتبادلان التندّرات عن النظام وقراراته وما قد يبتدع لاحقاً، تستذكران ظروف امتحانات خاضتاها سوياً على وقع القصف.

تُعرّف سارة (22 عاماً) عن نفسها بتهكم ملحوظ بأنها «نص دكتورة»، إلا أن «البخت» لم يُحالفها. تقول بملامح اعتادت الصدمات: "قبيل خروج المعارضة من سقبا كنت قد أنهيت السنة الثالثة من دراستي للطب، لكن تربية النظام أعادتني إلى المرحلة الثانوية العامة، دون الاعتراف بشهادتي لمجرد أني درست مناهج الائتلاف التي لا تختلف عن نظيره المعتمد من النظام سوى خلوه من صور الأسد ورموزه!"

ليس هناك من فوارق بين مناهج الائتلاف والنظام (المعتمد من قبل منظمة اليونيسكو) سوى في الأمور الشكلية التي تخص الحديث عن رموز النظام وبعض التواريخ التي تم تعديلها وتنقيحها من قبل 20 مؤلفاً، مع الحفاظ على المادة العلمية الصرفة بحسب موقع الائتلاف. تُبدي سارة استغرابها من عدم الاعتراف بشهاداتهم بالرغم من تطابق المنهجين والظروف الصعبة التي عاشتها وأقرانها للحصول على هذه الشهادات، تقول: "أذكر حينها أني خضت امتحان الثانوية العامة بُعيد زواجي بأيام، واجتزته بمعدلٍ خوّلني دخول كلية الطب البشري" كل ذلك ذهب سدى، وبات على الطلاب العودة إلى مقاعد الدراسة من جديد، حتى أولئك الذين تخرجوا من الجامعة! وتتساءل لماذا لا يقوم النظام بإجراء سبر معلومات لهم أو تعديل شهاداتهم وإلحاقهم بالجامعات "وتحميلهم بعض المواد" أسوة بمعظم جامعات العالم؟

طلاب كثر خرجوا إلى الشمال السوري في رحلة التهجير الأخيرة، وأصدرت مديرتا التربية الحرة في حلب وإدلب قراراً بإلحاقهم بالجامعات، حسب فروعهم، دون شروط ودون رسوم تسجيل أيضاً، إذ التحق أكثر من 300 طالباً بمقاعد الدراسة لإكمال تعليمهم. وتحتضن جامعات ومعاهد الشمال السوري أكثر من 15 ألف طالب ضمن فروعها المختلفة التي افتتحتها منذ 2015، والتي حازت على اعتراف من قبل دول عديدة كالسعودية وتركيا وألمانيا وفرنسا، وحظي خريجوها بمنح دراسية خارج البلاد.

قرار النظام الملزم بإعادة خوض الامتحان بدا في نظر إيمان "طلب هين" لتوافقها سارة باستسلام.. لكل قرار حياتي ضريبته وضريبة البقاء في "سجن الوطن" إحصاء شهور "الروزنامة السميكة"، واجتياز اختبارات كنّ قد اجتزنها سابقاً، بدلاً من العيش في "حرية المنفى".

ضباط الأسد يلجؤون إلى المشعوذات لحماية مكاسبهم في المناصب والأموال

برهان نوفل

تتباهى ماريا، أو هكذا تسمي نفسها، بأن زبائنها من عِلية القوم والنّافذين في البلد، وبينهم من لا يُقدم على أي عمل دون استشارتها بقراءة الطالع واستقراء الخير أو الشر في ما يروم القيام به. يصعب تحديد دين أو طائفة هذه المرأة التي قاربت الخمسين عاماً، وتُعدّ اليوم واحدة من أشهر بصّارات دمشق.

تزعم ماريا أنها درست الفلك في النجف والقاهرة وتلقّت علومه على يد أكبر شيوخ هذا الكار من السنة والشيعة، زبائنُها الضباط، وجميعهم من الطائفة العلوية، حسب قولها، يتواصلون معها مباشرةً أو عن طريق زوجاتهم وبصورة مستمرة. لا يأتون إليها مثل زبائنها العاديين، بل يُرسلون سياراتهم لاصطحابها إلى المنزل، حيث يشربون القهوة التي سترى فيها ماريا ما تُخبئه الأيام لهم. وريثما ينتهون من شرب القهوة، لا تُضيع ماريا وقتهم الثمين، حيث تطلب منهم أن يفتحوا صفحة بشكل عشوائي في كتاب تحمله معها أينما ذهبت، وفي تلك الصفحة تقرأ بطريقة مشابهة لقراءة الفنجان، وبأسلوبها الخاص تربط بين محتوى الصفحة وحياتهم، فتُطمئنهم أو تُحذّرهم، وتُسدي لهم النصح بالمبادرة أو التريّث في الأعمال التي تنتظر قيامهم بها، والأهم أنها تسألهم عن أشخاص بأسمائهم أو بصفاتهم، وأرقام قد تعني لهم شيئاً.

تتابع على نفس المنوال في فنجان القهوة، فتجيب عن الأسئلة التي يتحرقون للإجابة عنها حول مواضيع منها: الاستقرار الوظيفي ورضا أرباب عملهم ورؤسائهم عنهم، والأمور العملية والاجتماعية من حلّ وترحال وعلاقات وارتباطات، ومشاكل تكون حاضرة دائماً، فهي في الغالب ما يدفعهم لطلب المعونة بكل الطرق الممكنة. تنتهي الجلسة بحلول روحانية مُقترحة لحل المشاكل وزيادة الحظ والوقاية من الشر.. وهلم جراً، فلديها حجُب وتعويذات منوط بها أن تجلب الخير وتدفع الأذى.

وحسب رأيها، يكمن الدافع الأساسي لاعتماد الكبار عليها في الخوف، وكلما علَت الرتبة زادت المخاوف وتعددت أشكالها، ولا يدخل في هواجس زبائنها الضباط ما يثلم ولاءهم المطلق للنظام، فلم يحدث أن استشارها ضابط بنيّة انشقاق أو عصيان، ولم تجد بالمقابل في تنبّؤاتها ما يُشير لذلك، فما يؤرقهم هو سلامتهم الشخصية أولاً، ومُكتسباتهم من مناصب وأموال، ويأتي الحلّ بأن يشتروا، وتشتري زوجاتهم، خواتم وحُجُب تبيعها ماريا للحماية من الأخطار، لا يقلّ سعر أي منها عن خمسين ألف ليرة سورية، تزيد قوتها بزيادة سعرها، فخاتم الحماية من الحسد الذي ترتديه ماريا يزيد سعره عن ألف دولار، حسب زعمها.

تلبي ماريا تلك الدعوات في أي وقت دون تذمّر، فإضافة إلى تأمين الحماية لها من أي مساءلة قانونية، أو حتى منافسة أو مضايقة الآخرين، فهؤلاء الضباط وزوجاتهم يدفعون لها بسخاء من جهة، ومن جهة أخرى تخاف منهم ومن عواقب رفض التعامل مع أي منهم، حتى أنها طوّرت أساليب خاصة بزبائنها من الجيش بغية امتصاص غضبهم، فلا تقول لهم مثلاً إنهم سيفشلون في عمل ما، بل تقول إن العصبية الزائدة ربما تحرمهم من الانتفاع من أمر معين، ولا تقول إن هناك من يستحق المنصب أكثر منهم، بل إن سوء التدبير حالَ بين المنصب وبينهم.

خواتم ماريا تشتريها من أسفارها إلى الدّول المجاورة، وتدّعي أن لكل منها قوى اختزنها بعد تلاوة شيوخ كبار لآيات معينة من القرآن عليها. تقوم كذلك بكتابة الحجب، وتتقاضى مبالغ كبيرة لا تقلّ عن خمسين ألف ليرة عن الحجاب الواحد، أما الكتاب الذي تحمله فصفحات متنوعة جزء كبير منها قاموس أوكسفورد، بالإضافة إلى صفحات من كتب مُتفرقة لا يجمع شيء بينها سوى ذلك الكتاب.

يسهل الوصول إلى ماريا، فهي تمارس مهنتها علناً في مقهى في جرمانا، وصالون حلاقة في دمشق. أمثال ماريا كثر، وقد حقق بعضهم شيئاً من الشهرة من خلال المشاركة في برامج الإذاعات وقنوات التلفزيون. أحد هؤلاء، وهو من الطائفة الدرزية، لا يستقبل إلا الزبائن الدروز، ولكنه قد يقبل التعامل مع غير الدروز إذا تم الأمر بوساطتهم، يُقدم الخدمات المعتادة من فلك وتنجيم بأسعار زهيدة، أو أي مبلغ تدفعه له، لكنه يطلب مبالغ كبيرة لقاء خدمات خاصة، مثل مسائل المُعتقلين في سجون النظام، إذ يعمل في حل هذه القضايا عن طريق السّحر والشعوذة ولكن عبر معارفه من الجيش والأفرع الأمنية!

إيران تحيي «ليالي حلب الساطعة»
وتحتل المدينة بحاكم وجيش وأمن وتجميعات «ثقافية»

وسط الساحة الأشهر في مدينة حلب (ساحة سعد الله الجابري) المُحاطة بأهم المؤسسات الحكومية وأفرع البنوك ومكاتب الطيران بالإضافة إلى الحديقة العامة، وتحت صورة بانورامية ضمّت قلعة حلب وبشار الأسد، رُفع العلم الإيراني ليأخذ مكانه إلى يمين منصّة نُصبت لإحياء فعالية "ليالي حلب الساطعة" في العشر الأواخر من رمضان! برعايةٍ وتنظيم إيراني عبر "مجمع مهاد الإيراني للثقافة والفنون"، وحضورٍ عسكريّ لميليشيات (فيلق المدافعين عن حلب) ذي الصبغة الشيعية والّذي يترأسه الحاج محسن.

فواز الفارس

الفعالية التي تُقام للعام الثاني على التوالي في حلب تُظهر حضوراً إيرانياً طاغياً، إذ تكاد تتطابق تلك المشهدية مع احتفاليات حزب الله في الضاحية الجنوبية، سواءً من خلال اختيار العشر الأواخر من رمضان لإحيائها والصورة النمطية لرجال بلباس عسكري خال من الأوسمة والرّتب يتصدّرون الصفوف الأولى للجمهور، أو من خلال شكل المنصّة ومُقدّم الحفل والأغاني والأناشيد الحماسية والأعلام المنتشرة لإيران وحزب الله وسوريا، بالإضافة إلى صور ولافتات للخامنئي وأقواله المأثورة.

اللافت في الاحتفالية كان ظهور الأطفال بلباس عسكريّ لتقديم فقراتهم الفنية والمسرحية، والتي تركزت في مُجملها على تعزيز دور "المقاومة والممانعة ونظرية المؤامرة الكونية ودحر الإرهاب"!

"لولا نشيد حماة الديار ما بتحس أنك بسوريا" يقول محمد وهو من سكان حي الجميلية المجاور للساحة، ففي كل يوم تبدأ الاحتفالية الرمضانية بالنشيد، لتبدأ بعدها وصلات دورية متشابهة من أناشيد الميليشيات التي تُحاكي بلحنها اللطميات الشيعية، وحلقات الدبكة على الأغاني الساحلية، وسط حضور يغيب عنه معظم أهالي مدينة حلب كما غابت عنه تقاليدهم وتراثهم وقدودهم.

يتجنّب مُعظم أهالي المدينة المرور بالساحة، إذ بات الدخول إليها يُشبه الدخول إلى ثكنة عسكرية يُعرّضك للتفتيش والمساءلة، إضافة إلى الإساءات التي ترتكبها ميليشيات الفيلق بحق المارّين. ويُفضّل فؤاد (طالب جامعي في حلب) وأصدقاؤه الذهاب إلى المقاهي في الطرف الغربي من المدينة تجنباً للمرور بالساحة "فأكثر من نصف الحاضرين يرتدون الألبسة العسكرية ويحملون أسلحتهم ما يثير الخوف في قلوب الناس"، ويتساءل فؤاد "لماذا كل هذا الخوف، مو على أساس حلب تحررت؟"

الحاج محسن، الحاضر الدائم في الاحتفاليات الحلبية، والذي يُعرّف عنه مُقدّم الحفل دائماً باسمه الأول دون كنيته وبلاحقة الحاج (ترجّح المصادر أنه إيراني الجنسية) يجلس صامتاً دائماً بذقن مُشذّبه وبزّة عسكرية خالية من الأوسمة والرتب، ليتصرف كحاكم فعلي في المدينة، فهو الذي يُكرّم المُشاركين في الفعاليات، وباسمه ورعايته تنطلق المهرجانات، حتى وصل الأمر بالحاج محسن إلى تكريم مدير ثقافة حلب جابر الساجور "لجهوده المبذولة وعطائه المستمر في رفع السوية الثقافية والفنية بحلب، وإظهار الوعي الوطني بمواجهة الفكر الظلامي التكفيري وقوى الاستكبار والإرهاب على سوريا"، ويطوف بوزير التجارة الداخلية وحماية المستهلك في أرجاء المكان، وبوزير السياحة، في العام الماضي، بشر اليازجي في فعالية "حلب تنبض بالحياة" التي رعاها (مجمع الثقلين الإيرانيّ) ليُخبرهم عن صمود حلب وإصرارها على الحياة، وكأنّ على المرء أن يُكرَم في داره خلافاً للمثل الشائع والمتداول.

تغيب أصداء الفعالية في الإعلام الرسمي السوري الذي لم يواكب أيّاً من أنشطتها، بل يكتفي بدور المتفرّج حاله كحال وزرائه ومسؤوليه، في الوقت الذي تنقل قنوات إيرانية أصداء هذه الاحتفاليات والتحضير لها.

يُسيطر (فيلق المدافعين عن حلب) بأذرعه الثقافية الإيرانية (مجمع مهاد ومجمع الصراط الثقافي ومجمع الثقلين ومؤسسة أوج) على مختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية في المدينة، وعبر العناصر التابعة له من الشباب الذين تطوعوا للخدمة في الفيلق، إضافة إلى أذرعه العسكرية (انضوت تحت اسم الفيلق معظم الميليشيات السورية والأجنبية في حلب منذ تأسيسه في 2017/2/27، وأهمها ميليشيات الدفاع المحلي التي كان يرأسها العميد هيثم النايف الذي قُتل منذ شهرين على طريق السلمية)، يفرض الفيلق سيطرته على مناحي الحياة الأمنية والعسكرية كرديف لجيش النظام الذي تضاءل وجوده في حلب لصالح الفيلق الذي قسّم المدينة إلى أربعة مربعات ابتداء من حي السليمانية (المربع الأول والنقطة صفر)، يُقسّم كلّ مربع إلى قطاعات، ويترأس كل قطاع (حيّ أو أكثر) مسؤولاً عسكرياً منه يرعى شؤونه في الجوانب المختلفة.

متداولة على الإنترنت

فاقم "النصر" المزعوم لقوات الأسد وشبيحته على الساحة السورية أوضاع أهالي مدينة حماه مأساوية، إذ أُطلقت يد الشبيحة دون رادع، وباتت استباحاتهم للمدينة مشهداً مألوفاً في حياة الحمويين، من خطف وسلب وإتاوات، على الرغم من خروج كل الفصائل المسلحة من المدينة، ومنذ عام 2013، تجنّباً لمصير مشابه دفعته حماه في ثمانينات القرن الماضي، أيام حكم الأسد الأب، والمجازر التي ارتكبها بحق الأهالي آنذاك.

محنة مدينة حماة المُحتلة بالمخابرات والشبيحة والموظفين الطائفيين

محمد العمر

يرزح سكان حماه تحت وطأة قمع منفلت منذ بداية الثورة، ومع استقدام الأسد لمئات من جنوده الذين نشرهم في أحياء المدينة وتشديد القبضة الأمنية وتشكيل الكثير من الميليشيات، وتسليمهم مفاصل المدينة ليعيثوا فيها فساداً، زرع رعباً مزمناً في قلوب أهل المدينة، الرّعب الذي يمنعهم من التنفس في حضرة الجلاّد، الرعب الذي يدفعهم للاستكانة أمام موظف عادي في دائرة النفوس يُمارس سخطه عليهم مع كل ورقة يريدون استخراجها، وهم مُجبرون على تقبّل هذا السخط فقط لأن الموظف، في غالب الحالات، مُعبّأ طائفياً بحكم انتمائه لواحدة من القرى أو البلدات الموالية للنظام في ريف حماة.

تعدّت المشاهد رؤية مئات أهالي المدينة في طوابير على أفران الخبز والمشافي وغيرها من الأمور الخدمية، إلى انتشار حالات من الخطف والمساومة والسرقة ودفع الإتاوات، يقول أبو أحمد من سكان المدينة "خطفُ أي مواطن بحجة التواصل مع الثوار ومفاوضة أهله على مبلغ من المال لإخراجه بات أمراً شبه يومي، وإن لم تستطع العائلة تأمين المال يختفي الشاب ويضيع في أقبية الاعتقالات". قادة الشبيحة وأشهرهم من أبناء المدينة "طلال الدقاق" خطفوا الكثير من المدنيين وقاموا بوضعهم في أحد المنازل الطرفية في المدينة، وإخبار الأهالي بأن أولادهم معتقلون في مطار حماه المدني، الثمن معروف لإخراجهم، فعليك أن تدفع مليوني ليرة سورية للدقاق عن كل شخص، يقول أحد المختطفين. وفي مرات كثيرة تتعرض المدينة لما يشبه الغزوات من ميليشيات سلحب أو قمحانة ومصياف، يُلقى القبض خلالها على أثرياء من أهل المدينة، أو تُصادر بضائع أو سيارات. يروي محمد (اسم مستعار) كيف شاهد من شباك بيته "شبيحة" مسلحين يسرقون سيارته دون أن يجرؤ على فعل شيء أو حتى الاحتجاج كلاماً على اللصوص.

يُتّهم طلال الدقاق بارتكاب معظم هذه الجرائم بعد أن تحول إلى الرجل الأول في حماه مستفيداً من دعم لا محدود، حسبما يُقال، من سهيل الحسن. ينتمي الدقاق إلى "حي طريق حلب"، وعمل قبل الثورة سائقاً لسيارة أجرة ثم عاملاً في معرض سيراميك، إلى أن اندلعت الثورة لينضم إلى مجاميع الشبيحة الذين شاركوا بقمع المتظاهرين في مدينة حماة. لا تعرف بالضبط الطريقة التي اتصل بها الدقاق بسهيل الحسن، لكن علاقاته بشبيحة كبار من ريف جبلة أوصلته إلى الحسن، الذي أُعجب به بعد اقتحام حي الحميدية وما رافق ذلك من جرائم قتل بحق أهل الحي واعتقال، ثم بتنفيذ إعدامات وحشية بـ (20) شاباً من حي الفراية، قضى بعضهم حرقاً قبل أن يُطلق عليه الرصاص، فضلاً عن جرائم مُفردة حرق فيها أحد الإعلاميين بحي الأربعين، وتقطيع رئيس بلدية قرية الخالدية في مكتبه بتهمة اتصاله بالثوار.

أحياناً يعتلي الدقاق منبراً في أحد المساجد ليلقي خطبة عن الشرف والأخلاق ومحاربة الإرهابيين، في الوقت الذي يستبيح المدينة، ويتفنن بقتل ضحاياه بعد تعذيبهم.

يُفرض للدقاق ولغيره من قادة الميليشيات حصص ثابتة على كل بضاعة تدخل المدينة. يقول تاجر طلب إغفال اسمه "كان عليّ أن أدفع خمسة ملايين ليرة لعلي الشلة مقابل إدخال أربع شاحنات فروج إلى المدينة". قبل ذلك، أوقف الشلة، وهو قائد لميليشيا يسميها "قوات الصقر علي الشلة"، شاحنة لهذا التاجر تحمل الدجاج الحي لمدة أربعة أيام ما أدى لنفوقها وتكبده خسارة فادحة علّمته أن يدفع أولاً.

"حماة تشعر بالخذلان"

يقول عبد الحميد الشحنة وهو مقاتل وإعلامي من الجيش الحر خرج مع كتيبته من المدينة وكان يأمل، حسب ما يقول، بالعودة إليها "بشكل منظم وقوي لتخليص حماة من الظلم الذي عاشته وتعيشه كل يوم"، وحين كانت كتائب الحر في العامين 2012 و2013 نشطةً في المدينة قبل خروجها "لم يكن النظام وشبيحته يجرؤون على الممارسات التي يقومون بها اليوم".

يقول "أبو شادي الحموي" وهو ناشط كان من أوائل المتظاهرين "نشعر بغصّة وغضب لما يعانيه أهلنا اليوم على يد الشبيحة دون أن نتمكن من فعل شيء دفاعاً عنهم".

في ذكرى أحمد مشجع إيطاليا.. لن أشجع العرب

مصطفى أبو شمس

قبل أيام قليلة من انطلاق بطولة كأس العالم 2014 في البرازيل استشهد صديقي أحمد ببرميل متفجر على حي طريق الباب في حلب، كان آخر من تبقى من "شلّة الأصدقاء القدامى الثمانية لكرة القدم" في القسم المحرّر من المدينة. كان أحمد شاباً وطنياً بامتياز تطغى السياسة على مواقفه الحياتية كلّها، حتى الرياضية منها، فهو يُشجّع فريق إيطاليا فقط "لأنها أهدت كأس العالم 1982 للفلسطينيين" دون أن يُتعب نفسه في البحث عن مصداقية الخبر.

أشدّ ما كان يتعب الشاب في مناقشاتنا الدائمة التقاء فريق الجزائر (الفريق العربي الوحيد في كأس العالم وقتها) بإيطاليا، كان عليه أن يقارن في كل مرّة، بعد أن اقترب موعد المباريات، بين انتمائه العربي وبلد المليون شهيد وبين الطليان الذين وقفوا إلى جانب قضيتنا الفلسطينية. أيقظني ذات ليلة ليسرد لي شرحاً مطوّلاً عن عدم وقوف الجزائر إلى جانب الثورة السورية بل على العكس وقوفها إلى جانب نظام الأسد، وأنهى حديثه بالبحث عن مواقف لإيطاليا تُريح ما يعتمل في صدره.

كانت الكهرباء غائبة، ولم تكن بطاقات الانترنيت تفي بالغرض لمشاهدة المباريات، فعمد إلى شراء كرت للجزيرة الرياضية بـ 150 دولاراً عبر صديق له في مدينة حماه. استعار مولّدة صغيرة "يابانية"، ضحك وهو يخبرني أنها لن تطغى على صوت المعلق، وأشار إلى السماء "بس هدول الكلاب يتركونا بحالنا وقت المباراة" في إشارة منه للطائرات التي كانت تستهدف المدينة على مدار الساعة.

"من حق الناس أنو تفرح، كأس العالم متعة بلكي بيطالعنا من هالجو" كانت آخر كلماته قبل أن يرحل، لا أعرف كيف كان سيتقبّل خروج فريقه من الدور الأول، كل ما فعلته أني زرت قبره بعد نهاية المونديال، كذبت عليه وأخبرته أن إيطاليا أخذت كأس العالم في ذلك العام.

في المقلب الآخر كان صديقا الشلة نفسها يضعان صورهما في مدينة اللاذقية بلباسهما الأرجنتيني، منذ بداية الثورة اختارا أن يقفا مع الأسد، أذكر أن أحمد قال لي يوماً إن أحدهما كان يُشجّع الأرجنتين لأنه يقف مع الشعوب اللاتينية الفقيرة التي تتنفس كرة القدم، تلك الشعوب التي تشبهنا في معاناتها، وأبدى استغرابه لضياع تلك المفاهيم فـ "كيف لمشجع للأرجنتين أن يقف مع نظام قاتل؟". أما الآخر فقد كان بوجهة نظره كأبناء هذه الأيام، لا يعرف من الأرجنتين سوى "ميسي" الذي كان يصفه بـ "الديكتاتور"، ولهذا لم يبد أيّ استغراب من وقوفه إلى جانب الأسد.

خامسنا كان من متقلب الهوى بين تشجيع الفريق الهولندي والإسباني والبرتغالي، وقد اختار أيضاً البقاء مع الأسد كصحفي في مدينة حلب، لم يكترث صديقي بالحديث عنه، كان دائماً يصفه بـ "الوصولي"، وكان يُجيب بجملة واحدة كلما عادت بنا الذاكرة إليه "لا يمكن أن تشعر بالانتماء لأكثر من قضية".

اعتقل نظام الأسد سادسنا منذ 2013 وضاعت أخباره، كثيراً ما كان يدور على لسان أحمد أن لا "سحر فوق لعب البرازيل لكرة القدم". يربت على كتفي وهو يخبرني، افتراضاً، بأن سادسنا سيكون سعيداً في مكانه وهو يرى البرازيل تستضيف كأس العالم، فهو أكثرنا حبّاً لكرة القدم كما البرازيل أعرق فرق هذه اللعبة.

الآخران سافرا إلى ألمانيا، أحدهما "نازي" كان يقول لي مازحاً وهو يخبرني عن معرفته بكل لاعبي ألمانيا وتفاصيل حياتهم، "بيحقلو يكون بألمانيا هاد الشب ولد ألماني"، ويصف الأخير بالبلادة والكسل فكيف يمكن له الحياة في بلد "الماكينات".

أجدني أبحث عن فريق أُشجعه اليوم، لم تهزّني هزائم الفرق العربية الأربع، صور السيسي وبن سلمان وملك المغرب وأعداء الثورة السورية في تونس تطغى على مخيلتي في كل فرصة ضائعة، فتجدني أصفق لخسارتهم وأتخلى عن تشجيعهم كما أسهموا في إضعافنا وخساراتنا.

كأس عالم جديد نعيشه الآن، بعد أربع سنوات على استشهاد أحمد، توالت فيه الهزائم، فلا إيطاليا من ضمن الفرق المتأهلة، ولا بيته في حلب بات موجوداً بعد أن سيطرت قوات الأسد عليه، ولا الوطنية غدت سمة مشجعي هذه الأيام. ربما علينا أن نبحث عن فريق نشجعه في هذه الفسحة الكروية يكون مرتبطاً بقضيتنا المحقة، بعد أن تخلّى عنها العام أجمع وغابت فرق من يشعرون بالتعاطف معها عن الحضور.

اللاذقية في المونديال.. لا علم فوق العلم «الوطني الروسي»

مراد الحجي

ما إن أطلق حكم المباراة الأولى في مونديال روسيا 2018 صفارته، معلناً نهاية اللقاء الافتتاحي بين المنتخب السعودي والمنتخب الروسي، حتى تعالت أصوات الرصاص في مدينة اللاذقية.

حيث يُعدّ إطلاق النار فيها أول مظاهر الاحتفال بأي مناسبة، مهما كانت صغيرة، فكيف إذا كانت المناسبة هي خسارة "منتخب جبهة النصرة الوهابي"، كما يلقّب مؤيدو النظام في اللاذقية منتخب السعودية، أمام "المنتخب الوطني الروسي"، وبنتيجة خمسة أهداف نظيفة.

مع كل هدف كانت تُسجّله روسيا، أو حتى فرصة ضائعة، كانت المسدسات والبنادق والأسلحة الرشاشة تفتح نيرانها، لتتحول المتابعة الاحتفالية للمباراة إلى معركة من طرف واحد، استُدعيت فيها عناصر متناقضة بعيدة وقريبة من مظاهر الحرب واصطفافاتها، ومن الأديان والمذاهب والخصائص العرقية، وحتى المناخ والحياة البرية، لتُشكّل وعياً ساذجاً وعنصرياً لا يصدر عنه سوى مزيد من التوحّش والجنون، لم يجد على الأرض وقتها مُتنفساً عملياً سوى إلقاء القبض على مشجع وحيد للمنتخب السعودي، قاده حظّه العاثر إلى إعلان موقفه خلال متابعته المباراة وسط مقهى في الكورنيش الجنوبي، قبل أن يُسحل ويتعرض لضرب مبرح كاد فيه أن يفارق الحياة.

.. هنا في الساحل ليس خياراً أن تختار منتخباً تشجعه، بل هناك مقومات (سياسية) و(وطنية) يجب أن تستحضرها قبل أن تُعلن تأييدك لأي منتخب أو ترفع علمَه.. وتكفي جولة في الزراعة، أو أي حي آخر من عروس الساحل، لتجد أعلام روسيا وقد ظللت الشوارع، فيما تُحلّق طائراتها الحربية في الأجواء، وتحتلّ سفنها وطرّاداتها السواحل.

أعلام إيران بالطبع لم تغب أيضاً عن الطقس المونديالي، إلا أن تشجيع إيران لم يُكلله الحماس، كما هو تشجيع روسيا، خاصة وأن إيران أحد أهم الفرق التي عرقلت وصول "المنتخب السوري" إلى المونديال، لكن مئات المشجعين ترفّعوا عن "التوافه"، وشجعوا المنتخب الذي يُمثّل الدولة التي تخوض هي الأخرى معركتها المصيرية في الخندق ذاته، إلى جانب جيشهم، بل وصنعت لها جيشاً خاصاً تألف من الميليشيات التي يتلقّى عناصرها رواتب لا يحصلون عليها بجيش النظام.

مشهد غريب عن المدينة التي اعتادت خلال المونديال، فيما مضى، أن تُرفرف فيها أعلام البرازيل وألمانيا والأرجنتين وإسبانيا، وغيرها من المنتخبات العريقة وصاحبة الألقاب، والتي طالما حازت على التشجيع في مختلف المدن السورية، لكن الحرب في مفهوم مؤيدي النظام في الساحل السوري لابد أن تُلغي التنوع، وتحشد الجميع تحت علم واحد، وأي علم سيظلل جغرافيا مركزها مطار حميميم كالعلم الروسي!

يرفض وائل، وهو من مشجعي المنتخب الألماني، حضور أي مباراة في المقاهي، ويقول لـ عين المدينة "أجمل ما في التشجيع، عادة، هو أنه منافسة وصراع بين مشجعي فريقين بوسائل سلمية، وما يحدث اليوم إرهاب فعلي، حيث لا تخلو مقهى في اللاذقية من مشجعين مسلحين، تكفي رؤية مسدساتهم وروسياتهم وقنابلهم لتكفّ عن الوقوف مع الفريق الذي تُشجع، بل وتنقلب عليه لتكون في صفهم، حفاظاً على سلامتك"، ويسخر وائل من جهل هؤلاء بكرة القدم، ويتساءل "معقول أن نشجع روسيا أو إيران؟" وهي فرق ضعيفة في النهاية، وسرعان ما تسقط في أول مواجهة مع أحد المنتخبات الكبيرة.

يقول مراد، الذي يشجع منتخب الأرجنتين، إنه لم يرفع في هذه البطولة علمها، تحاشياً لأن يظهر بصورة المُخالف للأعلام السائدة، ويشرح كيف تغير بعض مشجعي الفرق العريقة "جاري عمره فوق الأربعين، كان يرفع علم البرازيل بالبطولات قبل، وبهالبطولة رفع علم روسيا وإيران، وما بعرف راح يخلي مين بيناتهن في حال التقوا الفريقين ضد بعض". يُلاحظ مراد دخول مفردات جديدة إلى لغة المشجعين، يستعيرون فيها لغة الحرب أثناء تعليقهم على المباريات، فيما يتوقّع مشجعو روسيا، الأشدّ تفاؤلاً، أن تفوز بكأس العالم في هذا المونديال.

المسبحة رائحة البلاد.. وصناعتها مهنة جديدة يتعرف عليها الديريون في أورفا

نشوان الصالح

مثّلت صناعة "المسابيح" في تركيا أحد أبواب العمل التي طرقها السوريون عموماً، والديريون أصحاب الهوس فيها خصوصاً، وراحوا يتعلّمون أنواعها وطرق تصنيعها حتى تنبهوا لضرورة تعلّم تصنيع خامات المسابيح، والذي يُعتبر أهم أسرار "الصنعة".

لطالما عرفت ديرالزور المسابيح من دمشق وحلب، واستوردتها من هناك، أو من خارج البلاد حين يأتي بها الحجاج كهدايا للمعارف والأقارب، أو موروثة عبر الأجيال دون معرفة صانعيها. وفيما عدا تلك التي كانت تُصنع من نوى الزيتون أو التمر في سجون النظام، لم يُذكر أن أحداً من أبناء دير الزور قد عمل في صناعة المسابيح.

وفي أورفا التركية يسكن غالبية أهالي المنطقة الشرقية من سوريا، حيث تجاوز عدد السوريين فيها 450 ألفاً، ويُشكّل الديريون النسبة الأكبر بينهم بتعداد يتجاوز 150 ألفاً، ويعتبر هؤلاء شريحة مستهلكة للمسابيح، خاصة المسبحة ذات الثلاث وثلاثين حبة الخارجة من العباءة الصوفية، والتي لم تعد تُضفي طابعاً دينياً على حاملها، بل تعدى الأمر لتكون مُكمّلاً للباس ما، كالجلابية أو العباءة الحَبر، يحملها الرجال والنساء (بحبات أكثر) شيباً وشباباً يساراً ويميناً، ويمكن وصفها من ضمن التقاليد والسمت، وفي الغربة من (ريحة البلاد). ويتباهى الناس فيما بينهم بنوعية المسبحة، لونها وجودة أحجارها والحلية المعلقة على المئذنة (الشرشوبة)، والتي قد تكون من الفضة في بعض الأحيان.

اليوم أصبحت صناعة ذلك التقليد قريبة من الديريين إلى أبعد حد، فبعد محاولات حثيثة استطاع أبو محمود التوصل إلى طريقة إعداد الخامة، وافتتح ورشة خاصة به لطبخ الخامات وتصنيع المسابيح، كما استطاع أبو بسام من التوصل للسرّ أيضاً، وافتتح ورشته الخاصة بالشراكة مع الحرَفي أحمد التركي، والخامة حجر كبير بألوان مختلفة بعضها ممزوجة، يتم صناعته بخلط مواد سائلة وأخرى جافة على شكل بودرة، ومن ثم طبخه وشيّه بالفرن على عدة مراحل حتى يتحجر.

أخذت الورشتان تُوزعان الخامات في أورفا التي تجاوز عدد ورشات خراطة المسابيح الديرية فيها العشرين ورشة. يقول رضوان، الذي يعمل مع أبو بسام في تصنيع المسابيح وتسويقها: "نحن نوزّع الخامات داخل أورفا. ويعتمد السوق التركي على خامات أضنة التي يشتهر فيها الحلبي فارس بيضون والمارديني ناصر فيدان بصناعة الخامات، ونُسوّق المسابيح في إسطنبول ومرسين وأنقرة وأضنة وقونية، حيث تجار التصدير إلى الخليج والعراق وإندونيسيا وماليزيا".

عن طُرق التصنيع يتحدث رضوان عن نوعين: "الحجر الخام الذي نقوم بصناعته يُدعى (كهربار)، يتمّ تقطيعه بمناشير كهربائية إلى قُضبان على شكل موشور قاعدته مربع، تُثقب بعدها طولياً. أما تشكيل الحبة (خراطتها) يتم بطريقتين، آلية ويدوية، ومن ثم تذهب إلى مرحلة التصفير أو التنعيم، ومن ثم التلميع لتأخذ شكلها الأخير".

وعن كميات الإنتاج والأسعار يتابع رضوان: "تُعتبر المسبحة المصنعة يدوياً أجود وأغلى، ويُنجز خط الإنتاج اليدوي ما بين 20 إلى 30 مسبحة يومياً، بسعر تكلفة يصل إلى 20 ليرة تركية للمسبحة الواحدة، بينما ينتج الآلي ما بين 100و150 مسبحة يومياً، بسعر تكلفة يصل إلى 15 ليرة تركية للمسبحة، وتتغير الأسعار أيضاً تبعاً لحجم الحبة ولونها".

أما أبو محمود فيقول: "نصنع المسابيح من خاماتنا فقط، بأشكال مختلفة للحبّة (اللوزة -الكسمة -الحبة المدعبلة)، وأكثر الألوان إنتاجاً هما الأحمر والأصفر، لكن اللون الأحمر مرغوب أكثر في تركيا، ولعلّ ذلك لأنه يتّسق مع لون العلم التركي، مع العلم أن التجار الأتراك يُقبلون على المسابيح المصنعة في الورشات السورية فقط حين تكون أسعارها أقل من تلك المصنعة في الورشات التركية".

"لا أسواق في الداخل السوري للمسابيح حالياً" يقول رضوان: "بل على العكس هناك إقبال على المسابيح القليلة التي تأتي من سوريا، حيث أن معظمها نادر وقديم، وتتنوع بين الكيرب أو الكهرب والعقيق والعاج المُطعّم والنقي، وخشب النارجين، واليُسر المطعم بالفضة، وتتجاوز أسعار بعضها الـ 2000دولار أمريكي، بينما بيع بعضها الآخر بنصف غرام ذهب مقابل كل غرام".

بعد الثورة السورية ظهرت التنظيمات السلفية التي تعتبر المسبحة (بدعة)، وشأنه شأن بقية التنظيمات السلفية، منع تنظيم داعش المسبحة، الأمر الذي لم يمنعني من حمل مسبحتي في رحلة الهروب إلى تركيا. وعلى الحدود، حين طال الانتظار، أخرجتها وأخذت أحرّك حباتها، فاقترب المُهرّب المُرتاب مني وسألني: "ماذا تقول وأنت تسبّح يا شيخ؟" فأخبرته بأنني لستُ بشيخ ولا أقول شيئاً، وإنما أُحرّك المسبحة لأفرغ التوتر بعد يوم طويل أمضيناه في الهروب من مناطق تنظيم داعش، ولأشغل حالة الانتظار أيضاً ريثما يحين وقت عبورنا للحدود.

حين وصلتُ تركيا تذكرتُ أني أُخبئ في حقيبتي مسبحتين إضافيتين، إحداهما من الفضة الخالصة، والأخرى من الخشب العادي، تحمل ما تبقى من رائحة البلاد، رائحة أمهاتنا، حارسات التقاليد.

القمع الذي تتعرض له أقلية الإيغور المسلمة في الصين

مدافيد بروي*
أيار
عن مجلة Jacobin الأميركية **
ترجمة مأمون الحلبي

باسم محاربة التطرّف الإسلامي، شرع الحزب الشيوعي الصيني بشن حملة اعتقالات ومضايقات كبيرة بحقّ الإيغور في إقليم شين جيانغ

ما زال الاهتمام الدولي بمسألة إقليم شين جيانغ، واضطهاد الدولة الصينية سُكانه الأصليين من الإيغور، أقلّ مما هو عليه في قضية إقليم التيبت، التي تحظى بدعاية واسعة. مع ذلك يحظى إقليم شين جيانغ، الذي يُسميه كثير من الإيغور تركستان الشرقية، بأهمية أكثر من إقليم التيبت كأولوية في توجّهات الحزب الشيوعي الصيني.

باسم محاربة التطرف الإسلامي، شرع الحزب بشن حملة اعتقالات وتلقين عقائدي كبيرة بحقّ الأقليات العرقية. هدف هذه الحملة استئصال أي شكل من أشكال المعارضة نهائياً، وتحويل هذه الأرض الواسعة (1650000كم مربع) إلى منصة يُمكن انطلاقاً منها توسعة "مبادرة الحزام والطريق" والهيمنة على آسيا الوسطى.

ظهور شبكة جديدة من معسكرات إعادة التربية والتعليم في شين جيانغ بقي أمراً سرياً نوعاً ما لبعض الوقت، لكن الأبحاث والتقارير الإعلامية تُقدم لنا شهادات قاسية عن نطاق وحجم هذه السياسة الجديدة. منذ منتصف عام 2017 أخذت تظهر تشكيلة من مراكز الاحتجاز والسجون يبلغ عدد نزلائها مئات الألوف. وتَجمع هذه المعسكرات بين الكثير من الفظائع الوحشية لنظام "إعادة التربية من خلال العمل" الأقدم وبين أحدث آليات المراقبة والرصد، ذات التكنولوجيا المتطورة.

بدون أن توجه إليهم أي اتهامات، يجد المحتجزون أنفسهم (معظمهم من الإيغور، لكن هناك بعض الكازاخستانيين) مقطوعين عن العالم الخارجي لفترة زمنية غير محددة، وتحومُ الشبهات بسهولة حول أولئك الذين يُبدون علامات التقوى الدينية الزائدة، أو لهم اتصالات مع الخارج، لكن النطاق أوسع من ذلك بكثير. فحتى تكلم اللغة الصينية بشكل رديء يبدو كافياً لأن يُحتجز المرء. الأقل حظاً من المحتجزين يجدون أنفسهم عرضة لحفلات الضرب والتحقيقات اليومية، أما المعتقلون المحظوظون فيُكابدون جلسات النقد الذاتي الروتينية وتكرار الشعارات الوطنية المملة. نزع الولاء للإيمان الديني والهوية القومية يُشكل حيّزاً بارزاً في هذا المنهاج.

المعسكرات تتويج لسلسلة من التوجهات القمعية، تحديثات أدخلها شين كوان غو، سكرتير الحزب، منذ وصوله إلى شين جيانغ العام الماضي: أقسام الشرطة عند كل تقاطع هام، الحواجز الأمنية المنتشرة في كل مكان، والتي يمرّ بها الصينيون دون عقبات في حين يصطف الإيغور في طوابير من أجل التفتيش المُذِل، الرجال والنساء الكهول يمشون بتثاقل في الشوارع في تدريبات مكافحة الإرهاب، عمليات البث التلفزيوني والإذاعي التي تهيب بالإيغور أن يحبّوا الحزب ويلوموا أنفسهم على مكانتهم كدرجة ثانية.

شاهدت رجال شرطة يتنكبون بنادق آلية، يُوقفون شباناً إيغور في الشوارع لكي يتحققوا من أنهم يضعون في هواتفهم النقالة القطع التي تُوزّعها الحكومة بغرض التحكّم والمُراقبة. بعض الشبان تخلّصوا من هواتفهم الذكية لئلا يودي بهم فيديو كليب متطرف أو رسالة نصية إلى السجن.

أكثر من أي وقت مضى، منذ إلحاقه بالصين الشعبية، يُشبه إقليم شين جيانغ في وقتنا هذا أراض محتلة. وتكشف سياسات الحزب عن نظرة شاملة إلى الإيغور بصفتهم عدواً داخلياً. إن مجرد وجود الإيغور في أرضهم هو تذكير غير مريح بالهوية البديلة لإقليم شين جيانغ بصفته الطرف الشرقي للعالم الإسلامي -تذكير تود بكين امحاءه لو استطاعت.

من المحتمل أن الحزب لا نية لديه، حتى الآن، للقضاء مادياً على الإيغور، لكن مساعيه في تهميش لغتهم وإعادة كتابة تاريخ الإقليم يخدم أهدافاً مشابهة لسياسة التطهير العرقي. كيف أمكن لدولة ثورية أتت إلى السلطة مع وَعدٍ بإنهاء كل أشكال التمييز القومي أن ينتهي بها المطاف باللجوء إلى سياسات فظيعة من هذا النوع؟ وماذا، إن كان بالإمكان فعل أي شيء، بوسع أولئك الموجودين خارج الصين أن يفعلوا ليقلبوا الأمور؟

تبدأ حكاية سيطرة بكين على إقليم شين جيانغ في خمسينيات القرن الثامن عشر أثناء حكم سلالة "كينغ". لأكثر

* أدافيد بروي محاضرٌ مرموق في التاريخ الصيني الحديث في جامعة سيدني/ أستراليا

** Jacobin مجلة أميركية تهتم بقضايا التحرر الإنساني

من قرن مارس الصينيون في شين جيانغ شكلاً من الحكم غير المباشر، الذي كانت تطيح به بشكل متقطع تمرّدات محليّة للسكان المسلمين، وقد اعتاد كثيرٌ من القوميين الإيغور الإشارة إلى ثمانينات القرن التاسع عشر، التي أصبحت شين جيانغ حينها إحدى أقاليم الإمبراطورية، كنقطة البداية الحقيقية للاستعمار الصيني. قام الإيغور بمساعي من أجل الحكم الذاتي أثناء حكم الجمهورية الصينية، من 1912 إلى 1949.

في عشرينيات القرن الماضي، وأثناء دفع الأممية الشيوعية الأوسع نطاقاً نحو الثورة في العالم الإسلامي، اهتم البلاشفة بفكرة تحويل شين جيانغ إلى جمهورية سوفيتية، لكن عندما تراجع المدّ الثوري هيمنت مصالح الدولة السوفيتية في آسيا على شكل معالجتها لمسألة شين جيانغ، ومنعتها من تقديم تضامن حقيقي للإيغور. وفي الثلاثينيات، أدت ثورة واسعة النطاق إلى إقامة جمهورية شرق تركستان الإسلامية، لكن موسكو فضّلت الاصطفاف مع الحكم الصيني وساعدت على قمع هذه الجمهورية. في الأربعينيات، أعطى ستالين الضوء الأخضر لثورة في غرب الإقليم أقامت ما يُعرف بجمهورية شرق تركستان الثانية. لكن أولوية ستالين الوحيدة كانت المحافظة على الهيمنة الاقتصادية والسياسية في المنطقة، فانتهت الجمهورية عندما أبرم ستالين اتفاقاً مع ماوتسي تونغ يسمح بموجبه لجيش التحرير الشعبي بالسيطرة على شين جيانغ عام 1949.

عندما وصل الحزب الشيوعي الصيني إلى شين جيانغ عام 1949 كان قد تخلى عن التزامه بحق تقرير المصير القومي، فَعَرَض شكلاً مصغراً من "الحكم الذاتي"، وبتسويقه لرؤية صين أكثر مركزية كان على الحزب أن يُظهِر أولئك الشيوعيين الإيغور الذين كانوا يُماطلون من أجل شيء أكثر أهمية مثل "جمهورية إيغورستان السوفيتية".

عندما حصلت لبرلة محدودة في الثمانينيات، اغتنم الإيغور الفرصة لاختبار حدود النقاش المسموح به، فقام النشطاء بإطلاق حركة طلابية جنينية. مع نهاية الثمانينيات كان مناصرو الاعتدال قد خسروا المعركة داخل الحزب، وتم فقدان أدنى إمكانية لمعارضة إيغورية منظمة وسط حالة القمع التي طالت كل أنحاء الصين عام 1989. ومع سقوط الاتحاد السوفيتي عام 1991 تعمّق التراجع إلى سياسات الخطّ المُتشدّد، منذ ذلك الحين كان الحلّ الوحيد لدى الحزب لمعالجة سخط الإيغور تشديد سيطرته الإيديولوجية وانخراطه في عمليات عقابية دورية.

بعد أحداث 11 أيلول في الولايات المتحدة، أعادت الصين صياغة حملة الخطّ المتشدّد ضد النزعات الانفصالية ضمن "الحرب على الإرهاب" العالمية، وبهذا توصلت إلى ما يُشبه الاتفاق مع واشنطن. حصلت أعمال عنف متفرقة ذات طابع إرهابي في شين جيانغ وأماكن أخرى في الصين حصدت أرواح صينيين عاديين، لكن مقاومة الإيغور في شين جيانغ غير منظمة وغير عسكرية أكثر بكثير من ما تريدنا الصين أن نعتقد. طالت حملة "الحرب على الإرهاب" الصينية حتى أعضاء الحزب، ذوي الأصوات النشاز نوعاً ما كأستاذ الاقتصاد إلهام توهتي، الذي حكم عليه بالسجن مدى الحياة قبل 4 سنوات لانتقاده تهميش الإيغور في شين جيانغ.

من الصحيح أن بعض الإيغور اليائسين انخرطوا في صفوف المليشيات الإسلامية في سوريا والعراق على أمل اكتساب التدريب العسكري والتضامن الجهادي العالمي الضروريين، من وجهة نظرهم، لمعركة في شين جيانغ، لكن استراتيجية الحدّ الأقصى هذه لا تفرض أي تهديد على بكين، وبالتأكيد لا تبرّر عمليات القمع الحالي، فالصين تحافظ على قبضة خانقة على نقاط الدخول والخروج من شين جيانغ، لذا الدولة فقط هي من يستفيد من وجود المُتشددين الإيغور في أرض المعركة القصيّة.

الشهر الماضي أعاد السيناتور الأميركي ماركو روبيو قضية الإيغور في السياسة الأميركية الصينية، بقيامه بتدخل علنيّ بخصوص معسكرات إعادة التربية. بعض الإيغور، وربما الكثيرون منهم، سيرحّبون بتدخل روبيو، فهم يعتقدون أنهم ضحايا الشيوعية كونهم عالقين بين دولتين قمعيتين كبيرتين كانتا تصفان نفسيهما أنهما شيوعيتان. قسمٌ كبير من اليسار العالمي كان يُؤيّد فكرة أن الاتحاد السوفيتي والصين كانا نموذجين للاشتراكية الحية، لذا كان لزاماً الدفاع عنهما بأي ثمن. ولأنهم كانوا دون أي أصدقاء من طرف اليسار، فقد كان من الطبيعي، بالنسبة للإيغور الذين في المنفى، أن يميلوا للانجذاب لليمين المُعادي للشيوعية. المأساة هو أن هذا الأمر قد جعل من السهل جداً بالنسبة لبكين أن تصور سخط الإيغور كنتاج لمؤامرة غربية معادية. هذا السلوك من قبل بكين انتهازي وانتفاعي، لكن لسوء الحظ مُقنعٌ لبعض الصينيين. على الحكومات الأجنبية بالطبع أن لا تتردد بانتقاد سوء معاملة الصين لأقلياتها، لكن السيناتور روبيو مضى أبعد من الانتقاد، بربطه العلني محنة الإيغور بأهداف الولايات المتحدة في آسيا.

ليس لدى القادة في الغرب وخز ضمير حول معاملة المسلمين كإرهابيين أكثر مما لدى المسؤولين الصينيين في شين جيانغ، هذا هو المبدأ الذي يُشكل أساس الحظر على المسلمين الذي سَنَّه ترامب، وهي سياسة ما زال يُقاتل من أجلها في المحاكم الأميركية. وهذا المبدأ يُشكل القلب في دفاع إسرائيل عن مجزرتها في غزة.

على الناس الذين يدافعون عن قضية الإيغور، أن يتخذوا موقفاً قوياً ضد المعاملة التي تجرد المسلمين من إنسانيتهم، هذه المعاملة التي يُمارسها الغرب وحلفاؤه.

أحمد أديب أحمد مدرّس الإحصاء الذي تصدى للتشيّع وناجى حافظ الأسد

من بين قلة من أبناء الطائفة العلوية، يُجاهر أحمد أديب أحمد وهو مدرس في كلية الاقتصاد بجامعة تشرين، بموقفه الرافض لموجة التشيّع في أوساط الطائفة. ويخوض في سبيل ذلك سجالات مع شيوخ شيعة، كان أشهرها ما نشره في موقع "المركز السوري للدراسات" تحت عنوان "تليين الحجر أسهل من إقناع الجاهلين".

وإلى جانب سجالاته تلك، يخوض أديب أحمد، الذي يُعرّف عن نفسه بـ "الباحث الديني العلوي"، مواجهات شتّى مع شيوخ من الطائفة، يتهمهم خلالها بالجهل والتشيّع سرّاً وبتلقي الهدايا والأموال من الحوزات الإيرانية، ومن هؤلاء يُسمّي مجموعة يترأسها الدكتور "العلامة" أسعد علي "مُرشد الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية خارج الوطن العربي".

يقول أديب أحمد إن أتباع أسعد علي كتبوا فيه تقارير كيدية إلى أجهزة المخابرات، اتّهموه فيها بالعمالة لـ "الوهابية أو السي آي إيه أو الموساد"، وبأنه لا ينتمي للطائفة العلوية، إنما "سنّي من جسر الشغور" غيّر اسمه من خالد إلى أحمد، وأنه يُثير الفتنة بين الشيعة والعلويين، وبين العلويين أنفسهم؛ لكن المخابرات "أدركت بعين اليقين أنني شخص صادق، أُدافع عن الحق بكل ما أملك، ودعمتني بقوة وعلى أعلى المستويات؟" حسب ما كتب على صفحته الشخصية في فيسبوك، مُتباهياً بأنه أول من تصدى لـ "بيان الهوية" الذي أصدره معارضون من أبناء الطائفة للنظام قبل عامين. وقتها لاذ أتباع أسعد علي بالصمت، قبل أن يشنّوا حملاتهم ضده، حسداً وغيرة من شهرته المُتسعة وظهوره المتكرر على وسائل الإعلام.

في مرات كثيرة، عندما يطعن خصومه بأصله كمُتحدّر من قرية (يرتي) التابعة للقرداحة، وبنسبه الذي ينتهي بالشيخ أحمد قرفيص، أو يهزأون بنظريته التي تقول بـ"وجود آدمان" أحدهما نبيّ والآخر أب للبشر؛ يفقد أحمد أديب أحمد الحائز على شهادة الدكتوراة في الاقتصاد أعصابه، فيهبط في ردوده إلى حدّ سوقيّ يعيّر فيه أسعد علي، الحائز هو الآخر على شهادة دكتوراة في الأدب العربي، بإصابته بالبرص، فيأتي الردّ من أتباعه بأن وجه سيدهم "نور مُشرَّب بحُمرة الورد والصفاء" ليسخر أديب أحمد من هذا النور، في ردّ فيسبوكي طويل عنوانه "وكم رقصت على جثث الأسود كلاب" أكّد فيه أن مرضى البرص والجُذام أعداء لآل البيت، مستنداً على قول مزعوم للإمام الصادق بخصوص هذا العداء.

لم تشغله بحوث الإحصاء التي يُدرّسها في جامعة تشرين، أو بحوث الظاهر والباطن التي يجهر بها على الصفحات والمواقع الإلكترونية، عن شاعريته، إذ صدرت له مجموعتان "نبض لصفصاف الفضاء" و"مناجاة مع قائد الأمة"، وله "نهر العسل" تحت الطبع.

في قصيدته "الوطن بين الحافظ والبشار" يقول أديب أحمد مناجياً حافظ الأسد:

أيها القدّيس في السماوات العلا، أيها المُسفر نوراً في الليالي الحالكات، فلتطمئن لشعب تربّى على مبادئك، وجيش زرعت فيه العقيدة الكبرى فكان من الصامدين".

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina

/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

دير الزور

جامع السرايا والسوق المقبي في مدينة دير الزور/ أرشيف